

المهندس رافع محمد الطائي

باحث في التاريخ والانساب

١٦ أيار ٢٠٢٠م | **٢٢ رمضان ١٤٤١هـ**

تنويه

هذا البحث لا يتطرق الى انساب القبائل نفيا او اثباتا انما هو محاولة لتسليط الضوء على واقعة نسجت حولها قصص وحكايات واعتبرت السبب الرئيسي في استقرار قبائل وهجرة اخرى بل وتداخلها مع قبائل وشعوب اخرى لذا اقتضى التنويه .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعتبر الحكايات الشعبية المتواترة ركنا مهما في التاريخ وهي في غالبها تتناول الوقائع والمواقف البطولية والكرامات المتعلقة بالشيوخ وقصص الكرم والجود ومكارم الاخلاق وهذه الحكايات تتناولها الالسن وهي المادة الرئيسية في مجالس السمر ويذكرها الشعراء والرواة وخاصة المتكسبون منهم في قصصهم و قصائدهم مما يسبب انتشارها وشيوعها بين الناس بحيث تصبح من الامور المسلم بها والثابتة خاصة قبل بزوع فجر الراديو والتلفزيون حيث كانت مجالس السمر هي الوسيلة الوحيدة للترفيه وغالبا ما يكون المروي من القصص او الاشعار بما يلائم هوى المستمع خاصة اذا كان من اصحاب السلطة او المال وهناك الكثيرون ممن لا يسمحون بمناقشتها ودراستها بل يبنى عليها تاريخ شعوب وقبائل عديدة وهذه الحكايات منها ما دونته مصادر التاريخ القديم ومنها ما لم تدونه .

ان تدوين هذه القصص لا يعني بالضرورة حدوثها على ارض الواقع ولا عدم تدوينها دليلا على عدم حدوثها فالمؤرخ يستحيل عليه ذكر كل ما وقع ذلك ان المؤرخين ذكروا في مؤلفاتهم الاحداث التي غالبا ما تتعلق بالدول او الوقائع الحربية الكبرى بين الجيوش او قصص الفتح الاسلامي وقصص الثورات والتمرد وهم مع ذلك قد ذكروا في مؤلفاتهم امورا مختلفة مثل الاوبئة والفياضات والزلازل والحوادث الغريبة التي يكونون شهودا عليها او التي تصلهم اخبارها ومن هنا يمكن الجزم بأن ما لم يذكره المؤرخون المعاصرون لتاريخ حدوث القصة هو غالبا لم تصل اليهم اخباره وهذا يرجح عدم الحدوث خاصة اذا علمنا ان حكام الولايات وخاصة زمن الدولة الاسلامية كانوا يكاتبون الخلفاء والسلاطين بكل صغيرة وكبيرة في الامور التي تتعلق بولاياتهم ويكون التصرف فيها خارجا عن قدرتهم او صلاحياتهم ومنها امور العزل والتولية وما يحدث للأمراء المؤيدين للسلطان او المعارضين له .

ان القصص المتواترة غالبا ما تكون متشابهة واحيانا متطابقة عند الشعوب والقبائل المختلفة فعلى سبيل المثال قصة حصان طروادة[١] في الادب الاغريقي القديم تشبه الى حد كبير قصة دخول عمرو بن عدي بن نصر[٢] الى حصن الزباء وقتلها وكذلك قصة كابي الحداد[٣] في الادب الفارسي تشبه الى حد التطابق قصة كاوه الحداد في الادب الكردي وهناك العديد من قصص الكرامات والخوارق التي تتنافس الطوائف والفرق والطرق في نسبتها الى ائمتها .

ان هذه الروايات غالبا ما تظهر في زمن التنافس بين الناس فيعمد البعض الى صياغة وقائع واحداث له ولقبيلته وشعبه او طائفته لينافس بها الاخرين وهذا البعض على نوعين الاول يقوم باختلاق هذه الروايات والاخر يقوم بنسخها ونسبتها الى قومه او طائفته وهؤلاء لا غاية لهم سوى صناعة تاريخ ينافسون به الاخرين وهم لا يحدهم زمان ولا مكان فعلى سبيل المثال لا الحصر ظهر اليوم من يدعي ان جده اسمه شهاب الدين وهو باني مدينة الشهابي وهو الذي قاد تحالف القبائل العربية وهزم تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ الذي لم تذكر مصادر التاريخ هزيمة له في تلك السنة وهناك من يدعي ان جده الاعلى قاد تحالف القبائل وهزم جيش هولاكو في معركة عين جالوت بينما تشير جميع مصادر التاريخ الى ان من هزم جيش المغول هو السلطان قطب الدين قطز ، الغريب بالأمر ان هذه الادعاءات تجد الكثيرين ممن يصدقها لا معرفة بالتاريخ ولكن جهلا منهم ورغبة في التصديق لأنها تداعب هواهم .

ان هذه الادعاءات ستصبح بعد فترة من الزمن من الروايات المتواترة التي يتناقلها ابناء القبائل وتأخذ حيزا اكبر من التصديق ثم تتحول الى حقائق استنادا الى الجهل بالتاريخ والرغبة في ان يكون لهذه القبائل تاريخ تفتخر به .

---

١ - طروادة مدينة يونانية قديمة حاصرها الاغريق وحصان طروادة أكبر الأحصنة الخشبية في التاريخ ويبلغ من الطول ١٠٨ متر ومن الوزن ٣ أطنان، ليكون أمتن حصان خشبي في العالم،و تروي الأسطورة أن حصار الإغريق لطروادة دام عشر سنوات، فابتدع الإغريق حيلة جديدة، حصاناً خشبياً ضخماً أجوفا تم بناؤه في ثلاثة أيام. ومُلئ بالمحاربين الإغريق ، أما بقية الجيش فظهر كأنه رحل بينما في الواقع كان يختبئ ، وقبل الطرواديون الحصان على أنه عرض سلام. فأمر الملك بإدخاله إلى المدينة في احتفال كبير ، احتفل الطرواديون برفع الحصار وابتهجوا، وعندما خرج الإغريق من الحصان داخل المدينة في الليل، كان السكان في حالة سكر، ففتح المحاربون الإغريق بوابات المدينة للسماح لبقية الجيش بدخولها، فنهبت المدينة بلا رحمة، وقتل كل الرجال، وأخذ كل النساء والأطفال كعبيد.

٢- هو عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة من بني لخم جد الملوك المناذرة (راجع نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي)

٣ - كابي هو حداد من اهل اصفهان حمل فأسه وجاء الى بابل وقتل الملك بيوراسب (الضحاك) الظالم ثم اشعل النار فوق قمة الجبل ورفع راية من جلد اسماها الدرفش (راجع تاريخ الطبري)

نسب القبائل ذات العلاقة

قبل ان نبدأ بسرد تفاصيل قصة ذبحة آل مرا يتوجب البحث عن انساب الاطراف المشاركة فيها ومناطق انتشارهم في القرن الثامن الهجري وهو القرن الذي من المحتمل وقوع الذبحة فيه وماذا كتب المؤرخون والنسابون عنهم وهي قبائل آل مرا الطائية و زبيد والجنابيون والجنبيون.

١. آل مرا

ـــــــــــ :- وهم ذرية مرا بن ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب بن السكن بن الربيع بن علقي بن حوط بن عمرو بن خالد بن معد بن عدي بن افلت بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود بن عنيز بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طي وكانت امارة ال مرا تضم قبائل عديدة متحالفة منها قبائل بني حارثة وبني لام وفرير وبني صخر و زبيد حوران وبني عز والظفير و السلطان والغزي والبرجس والخرسان والمغيرة والأشراف بنو حسين الاعرجية والبطنان وخثعم وعدوان وعنزة[١] .

وقد ورد ذكر الامير مرا بن ربيعة سنة ٥١٣هـ حيث أغار جوسلين حاكم منطقة تل باشر على قبيلة طي قرب دمشق فتأخر جوسلين وضل عن جيشه ودارت رحى معركة بين الفرنج وقبيلة طي بقيادة الأمير مرا بن ربيعة انتصرت فيها طي وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا واسروا آخرين[٢] وكانت منازل آل مرا في القرن الثامن الهجري حسب ما اشار له القلقشندي المتوفي سنة ٨٢١هـ الجولان وبصرى (حاليا في سوريا) والزرقاء (حاليا في الاردن) اي ان منازلهم جنوب دمشق ممتدة الى شمال عمان عاصمة الاردن الحالية وشرقا الى بصرى في السويداء في سوريا[٣].

---

١ - احمد بن علي القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٢، ص٨٠

٢ - زين الدين عمر بن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢ ،ص ٢٥

٣ - القلقشندي المصدر السابق ، ص ٨١

٢.زبيد

ـــــــــــــــ :- وهم من القبائل القحطانية وينتهي نسبهم الى منبه (زبيد الاكبر) بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك (مذحج) بن أدد (ومذحج هو اخو طي) بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهؤلاء هم زبيد الاكبر ومنهم زبيد الاصغر وهم ذراري منبه (زبيد الاصغر) بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه (زبيد الاكبر) ومن زبيد الاصغر اليوم قبائل عديدة وكبيرة منتشرة على ارض العرب واما قبائل زبيد موضوع البحث فهم من اعقاب فارس العرب عمرو بن معد كرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن منبه (زبيد الاصغر) هكذا ساق نسبه هشام الكلبي في كتابه نسب معد واليمن الكبير .

وموطن بني زبيد هو الحجاز حسب ما ذكره العمري في مسالك الابصار وقال ان عليهم درك الحاج المصري (حماية الحجاج المصريين) من الصفراء الى الجحفة الى رابغ ومنطقتي الصفراء والجحفة تقعان بين حائل موطن قبيلة طي وبين المدينة المنورة اما رابغ فيقع بين المدينة المنورة ومكة المكرمة وهذا دليل ان مناطق سكنهم في الحجاز كانت بين حائل والمدينة المنورة الى رابغ بين المدينة ومكة علما ان ابن فضل الله العمري مؤلف كتاب مسالك الابصار توفي سنة ٧٤٩هـ .

٣.زبيد اخرى

ـــــــــــــــ :- هناك قبائل اخرى تسمى زبيد وهم غير زبيد الاكبر او الاصغر وهؤلاء مساكنهم في غوطة دمشق وقد ذكرهم المؤرخون ولم يرجعوهم الى قبيلة وهناك زبيد سنجار وهم من طي وهم ابناء زبيد بن معن بن عنيز بن سلامان بن ثعل بت عمرو بن الغوث بن طي وهذا الخط النسبي لا وجود له في انساب طي القديمة ذلك ان عنين بن سلامان بن ثعل له من الاولاد عتود وفرير وخالد واما معن الذي من خط سلامان فهو معن بن عتود بن عنين وله من الاولاد ثوب وود لذلك لا صحة لهذا العمود النسبي بيد انه هناك خط نسبي آخر وهو كالتالي :- ابو زبيد حرملة بن المنذر بن معد كرب بن حنظلة بن النعمان بن حية بن سعنة بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سفر بن هني بن عمرو بن الغوث بن طي وربما جاءتهم التسمية من هذا الخط النسبي والله اعلم .

٤.الجنابيون

ـــــــــــــــ :- وهؤلاء بني جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان هكذا ساق نسبهم هشام الكلبي في كتابه نسب معد واليمن الكبير ومنازلهم في الاحساء والكوفة ومنهم في مصر وبلاد الاندلس وكان لهم ملك فيها ومن رجالاتهم المشهورين الشاعر الفارس المعمر زهير بن جناب الذي رأس قومه ١٢٠ عاما وتوفي بعد عام الفيل بقليل ومنهم في الاحساء ومصر والشام .

هناك آخرون تلقبوا بالجنابي نسبة الى قرية جنابة في ارض البحرين منهم رأس القرامطة ابو سعيد الجنابي .

بني جنب

ـــــــــــــ :- وهؤلاء من مذحج بن أدد فهم من ذراري ستة من الاخوة وهم منبه والحارث والغلي وسنحان وهفان وشمران اولاد يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك (وهو مذحج) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

هؤلاء الاخوة الستة خالفوا اخاهم يزيد (صداء) بن يزيد بن حرب وتحالفوا مع سعد العشيرة جد زبيد فسموا جنباً بينما حالف الصداء بن يزيد بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك (مذحج) ومن حينها يعد بني جنب من زبيد حلفا ومساكنهم مع زبيد في الحجاز .

لقد ذكرنا هنا نسب الجنابيون وبني جنب لأن الروايات المتواترة حول الذبحة تشير الى ان الجنابيون هم اعقاب الامير محمد الذي سمي اجنبي لانه غطى البئر فقيل له اجنب وقد تبين من خلال المصادر ان الجنابيون قد تسموا نسبة الى زهير بن جناب وهو يسبق زمن الذبحة بثمانية قرون اما الذين ينتسبون الى قرية جنابة فتاريخهم قبل تاريخ الذبحة بستة قرون، اما بني جنب فتسميتهم قديمة جدا منذ القرون الاولى لنشأة العرب وعلى الارجح من بداية الالف الاولى قبل الميلاد فيكونوا قد سبقوا الذبحة بثمانية عشر قرن وهذه اولى نقاط الوهن في القصة .

ذبحة آل مرا في مصادر التاريخ والانساب

ان التاريخ التقريبي لحدوث الذبحة هو القرن الثامن الهجري وذلك بسبب ان ابطال القصة هم ممن كانوا أحياءاً في القرن الثامن الهجري ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال ما كتبه المرحوم عباس العزاوي في كتابه عشائر العراق الجزء الثاني حيث يقول انه عثر على كتاب من تأليف الشيخ سلطان الجبوري وقال العزاوي ان المؤلف ذكر نسبه الى جبر في مقدمة الكتاب وكما يلي :- سلطان بن ناصر بن احمد بن علي بن مرهج بن ابراهيم بن جبر بن حسين بن نجاد بن عامر بن بشر بن جبارة بن جبر (انتهى ما ذكره العزاوي).

كما ذكر العزاوي في كتابه تاريخ العراق بين احتلالين الجزء الخامس ان المؤلف المذكور قد كتب رسالة في المدرسة الاسماعيلية سنة ١١١٨هـ مما يدل على ان سلطان الجبوري كان حيا في الربع الاول من القرن الثاني عشر الهجري وبحساب عدد الوسائط النسبية بينه وبين جبر نجدها اثنتا عشر واسطة مما يعطي دليلا ان جبر يحتمل أن يكون حيا في الربع الاول من القرن الثامن وعليه يكون التاريخ التقريبي للذبحة هو بعد منتصف القرن الثامن الهجري .

استنادا لما تقدم توضيحه بدأنا البحث في المصادر التاريخية لفترة القرن الثامن الهجري وليس قبله ذلك ان جميع المصادر اشارت الى مشاركة آل مرا في معركة حمص مع المغول سنة ٦٨٠هـ ايام السلطان قلاوون وهي كما يلي :-

١. تاريخ ابن خلدون لمؤلفه عبد الرحمن بن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨هـ والذي ذكر فيه بني ربيعة الطائيين واماراتهم ولم يأت على ذكر ذبحة ال مرا .
٢. البداية والنهاية لمؤلفه اسماعيل بن كثير في جزئه الثامن عشر والمخصص لأحداث الفترة من سنة ٧٠١هـ الى سنة ٧٦٨هـ وهو ايضا لم يذكر ذبحة ال مرا .
٣. تاريخ ابن فرات لمؤلفه محمد بن عبد الرحيم بن فرات في جزئه الثامن الذي يؤرخ للفترة من ٧٠٠هـ ولغاية سنة ٧٨٩هـ وجزئه التاسع الذي يؤرخ للفترة من ٧٨٩هـ ولغاية الفترة ٧٩٢هـ والذي تناول احداث القرن الثامن بالتفصيل كونه كان من المقربين من سلاطين المماليك في مصر ولم يتطرق الى واقعة ذبحة آل مرا .

٤. السلوك لمعرفة دول الملوك لمؤلفه احمد بن علي المقريزي والذي يؤرخ لغاية سنة ٨٤٤هـ ولم يتطرق الى ذبحة ال مرا .
٥. التبر المسبوك في ذيل السلوك لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن السخاوي والذي يؤرخ لغاية سنة ٨٥٥هـ
٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لمؤلفه ابن تغري بردي والذي يؤرخ لغاية سنة ٨٤١هـ
٧. بدائع الزهور في وقائع الدهور لمؤلفه لابن اياس الحنفي والذي يؤرخ لغاية سنة ٩٢٨هـ
٨. تاريخ ابن سباط لمؤلفه محمد بن احمد بن عمر الشهير بابن سباط والذي يؤرخ لغاية سنة ٩٢٦هـ
٩. الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني
١٠. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن السخاوي
١١. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لمؤلفه النجم الغزي
١٢. مفاكه الخلان في حوادث الزمن لمؤلفه ابن طولون والذي يؤرخ لغاية سنة ٩٢٣هـ
١٣. تاريخ الغياثي لمؤلفه غياث الدين عبد الله بن فتح الله البغدادي وهو يؤرخ للفترة من ٦٥٦هـ ولغاية ٨٩٠هـ في العراق ولم يتطرق الى الذبحة خاصة وان المشهور انها وقعت في العراق الا انه اشار الى وجود الجحيش والجوذر في الحلة في احداث سنة ٨٨٣هـ ومن المشهور ان الجوذر من جبور الواوي من اعقاب هيجل بن عامر بن بشر بن جبارة بن جبر الجد الاعلى لقبيلة الجبور وهذا الامر لا يستقيم ووجود جبر في القرن الثامن الهجري والله اعلم .

جميع هذه المصادر التاريخية ومصادر التراجم لم تتطرق نهائيا الى ذبحة آل مرا ولا الى تراجم ابطال القصة رغم الشهرة والالقاب التي يحملها هؤلاء الابطال بل ان العديد منها اشار الى استمرار امارة ال مرا الى العهد العثماني اي بعد احتلال العثمانيين لسوريا في القرن العاشر الهجري وهذا ما يتناقض مع كون آل مرا لم يتبق منهم بعد الذبحة الا القليل لجأوا الى مواطنهم الحالية وسموا البيات .

ذبحة آل مرا في المصادر الحديثة

١. قصة الذبحة في مؤلفات المرحوم الاستاذ عباس العزاوي

مما لا شك فيه ان مؤلفات الاستاذ المرحوم عباس العزاوي طيب الله ثراه تعتبر مصادر مهمة فقد اغنى رحمه الله المكتبة العراقية بمؤلفات في التاريخ والانساب لا غنى للباحث المعاصر عنها ، اما ذبحة آل مرا فقد تطرق لها في اكثر من مكان في كتابيه تاريخ العراق بين احتلالين وموسوعة العشائر العراقية .

أ- تاريخ العراق بين احتلالين :-

(١) في الجزء الاول صفحة ٤٨٨وما بعدها تحدث عن آل مرا وقال : الى هذه السنة (يعني سنة ٧١٥هـ) يسكنون سوريا وان رئيسهم نجاد بن احمد بن حجي بن زيد بن شبل امير آل مرا قد توفي في آخر هذه السنة واستقر بعده في أمرة آل مرا ثابت بن عساف بن احمد بن حجي المذكور وبقي ثابت المذكور وتوبة بن سليمان يتنازعان الامرة) ثم قال (ولهؤلاء تنسب الذبحة المعروفة (بذبحة المرا) وهم فرقة من طي والامارة كانت فيهم فانتزعها آل فضل من طي ايضا) أ.هـ

واشار الى المصدر في هامش الصفحة وهو الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة الجزء الرابع صفحة ٣٧٠ وعند العودة الى المصدر المذكور والصفحة المذكورة وجدنا فيها الكلام في ترجمة مهنا بن عيسى ولم يتم التطرق الى آل مرا ولا الى الذبحة .

ان الخطأ الذي وقع عند العزاوي انه اشار الى الذبحة في احداث سنة ٧١٥ هـ مما ولد انطباعا خاطئا عند البعض على انها وقعت سنة ٧١٥هـ بينما كان العزاوي يتحدث عن آل مرا وأميرهم المتوفي في تلك السنة وان كلامه عن الذبحة جاء في سياق الحديث لا اكثر .

(٢) في الجزء الثاني صفحة ٢٢٧ أورد العزاوي في هامش الصفحة المذكورة نصاً اقتبسه من كتاب روضة الصفا ما نصه (في تاريخ ابن الفرات في حوادث سنة ٧٩٥هـ جاء ذكر لابن قشعم ..... إلى أن قال وهناك تفصيلات عن آل مرا وعن نعير وأولاده مما لم نره في غيره (تاريخ ابن فرات المجلد التاسع صفحة ٣٢٥، ٣٤٢)) أ.هـ

هذا النقل عن ابن فرات أوحى للكثيرين انه قد ذكر قصة ذبحة آل مرا لأن كتاب تاريخ ابن فرات من الكتب الغير منتشرة بكثرة وعند العودة إلى المصدر المذكور والصفحات المذكورة وجدنا ما يلي :-

- في هامش الصفحة ٣٢٥ أشار محقق كتاب تاريخ ابن فرات إلى إن هناك سطر ناقص تمت إضافته في الهامش وهو يتحدث عن مقتل الأمير عنقا بن شطي بن توبة بن سليمان أمير آل مرا في أحداث سنة ٧٩٤هـ مما يؤكد استمرار إمارتهم حتى ذلك الحين ولم يتطرق إلى الذبحة[١].
- في الصفحة ٣٤٢ ذكر ابن فرات قضية تكليف ابن قشعم بمحاربة الأمير نعير ولم يتطرق إلى الذبحة مطلقا[٢] .

(٣) في الجزء الثاني صفحة ٢٤١ تطرق العزاوي إلى مقتل الأمير عامر بن ظالم (ظاهر) بن حيار بن مهنا من أمراء آل فضل في واقعة بينه وبين عرب زبيد على الفرات سنة ٧٩٥هـ وقد قتل معه في هذه الواقعة سبعة عشر رجلا من آل فضل وقد ذكر العزاوي في ذات الموضوع ما نصه (ومن هنا نجد علاقة الخصومة حدثت في هذه الأيام (يعني سنة ٧٩٥هـ) ولم يتكدر ما بينهم من أيام المغول إلى هذا الحين) أ.هـ

إن هذه المعركة لا علاقة لها بذبحة آل مرا المتواترة وكلام العزاوي يثبت عدم وقوع ما يكدر صفو العلاقة بين زبيد وطي من سن ٦٥٦هـ إلى سنة ٧٩٥هـ

(٤) في الجزء الثالث صفحة ٣٧٤ تطرق العزاوي إلى قبيلة البيات وعدهم من القبائل التركمانية وعدد فروعهم ومنهم الامرلية وقال ما نصه (ويدعون ان أصلهم من

---

١ - محمد بن فرات ، تاريخ ابن الفرات ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٨ ، ج٩ ، ص٣٢٥
٢ - المصدر السابق ، ص٣٤٢

آل مرا مالوا من واقعة آل مرا) ولم يذكر مصدر هذه المعلومة غير ادعاء الامرلية ذلك .

ب- موسوعة عشائر العراق :-

(١) في الجزء الثاني صفحة ١٤٩ ذكر العزاوي ما نصه (ومن وقائع الدليم المحفوظة (وقعة المره) وهي انتصار على طي وهذه حدثت مع آل مراء من طي بينها وبين العشائر الزبيدية ومنها الدليم ولم نجد تدوينات عنها) .

(٢) تناول العزاوي في الجزء الثاني قبائل الجبور من الصفحة ٩٧ الى الصفحة ١١٤ ولم يتطرق الى واقعة الذبحة رغم إن جبر الزبيدي هو بطل قصة الذبحة .

٢. التقرير السري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر العربية

(١) جاء في الصفحة ٥١ من التقرير في الحديث عن عشائر الدليم ما نصه (وكان مؤسس العشيرة في العراق اسمه ثامر الذي جاء إلى العراق ليخلص بنات أخيه الثلاثة اللواتي حولهن قصص وأساطير طويلة)

(٢) تحدث التقرير عن قبيلة الجبور ولم يتطرق إلى إن جدهم جبر جاء كما جاء ثامر جد الدليم .

٣. العشائر الزبيدية في العراق

هذا الكتاب من تأليف جميل إبراهيم حبيب وقد خصص للعشائر الزبيدية بفرعيها زبيد الأكبر وزبيد الأصغر وذكر فيه جميع العشائر الزبيدية في العراق وما قيل عنها في المصادر وتحدث بإسهاب عن قبيلة الجبور وتفرعاتها في الصفحات من ٧٢ إلى ٨٨ وعن قبيلة الدليم وتفرعاتها في الصفحات من ٩٨ إلى ١٢١ وهذا الكتاب رغم تخصصه في قبائل زبيد إلا انه لم يتطرق إلى واقعة الذبحة نهائيا .

٤. القبائل العراقية

هذا الكتاب من تأليف الشيخ يونس السامرائي وقد صدر عام ١٩٨٩وقد ذكر في معرض حديثة عن البيات في تلعفر أنهم من آل مرا وكانوا يسكنون الجابرية ونزحوا إلى طوزخوماتو وتلعفر بعد المذبحة وهو قد اعتمد في ذكره للذبحة على كلام علي غالب البياتي إذ ذكر في بداية صفحة ٨٧ من الجزء الأول ما نصه (كتب لي ضابط الشرطة الأستاذ علي غالب خضر البياتي عن بيات تلعفر) كما انه اعتمد في ذكر تقسيمات البيات في سليمان بك على ما ذكره فرحان احمد سعيد في كتاب آل ربيعة الطائيون .

٥. موسوعة العشائر العراقية

هذه الموسوعة من تأليف الأستاذ ثامر عبد الحسن العامري وهي من تسعة أجزاء

(١) تحدث في الجزء الأول الصفحة ٤٨ عن البيات وذكر ما نصه (وقد توزعت هذه العشيرة في أنحاء العراق نتيجة أحداث تاريخية لسنا بصددها) إلا انه عاد في الصفحة ٥١ وقال (وتشير بعض المصادر بأن البيات يرجعون إلى آل مرا من طي وجاءت التسمية نتيجة حادثة وقعت ومفادها إن قبيلة زبيد بيتت آل مرا وقتلت من فرسانهم عددا كبيرا بعملية غادرة وحيلة نادرة وهم نيام عندهم وقد سميت هذه الحادثة باسم ذبحة آل مرا ومن هنا جاءت التسمية) وقد اعتمد الأستاذ العامري فيما ذكره في صفحة ٥١ على كتاب تاريخ حديثة لفرحان احمد سعيد .

(٢) تحدث الأستاذ العامري عن قبيلة الجبور في الجزء السابع من صفحة ١٨٨ الى ١٩٨ وفي الجزء الثامن من صفحة ٦٣ إلى ٨٥ وفي الجزء التاسع من صفحة ١٦٨ إلى ١٧٤ وفي كل هذا لم يتطرق إلى قصة الذبحة رغم إن المشهور عن جبر جد الجبور انه كان بطل قصة الذبحة .

(٣) تحدث الأستاذ العامري عن قبيلة الدليم في الجزء الثاني من صفحة ٣٩ إلى ٦٤ وفي الجزء الخامس من صفحة ١٠٥ إلى ١٠٧ وفي كل هذا لم يتطرق إلى قصة الذبحة رغم إن المشهور من القصة إن ثامر جد الدليم كان من إبطال قصة الذبحة .

٦. اسماء القبائل العراقية

هذا الكتاب من تأليف المرحوم محمد مهدي القزويني المتوفي سنة ١٣٠٠هـ والكتاب عبارة عن عرض لأسماء القبائل والعشائر العراقية لا أكثر ولكن الملفت للنظر إن هذا الكتاب طبع مرتين وبتحقيقين مختلفين الأول عام ١٩٦٣ بتحقيق عبد المولى الطريحي والثاني عام ٢٠٠٧ بتحقيق كامل سلمان الجبوري وهناك اختلاف واضح في ما يخص قبيلة البيات على النحو التالي :-

(١) ذكر مؤلف الكتاب اسم قبيلة البيات في الصفحة الثانية وقال عنها البيات قبيلة في العراق ولم يزد

(٢) جاء في تحقيق الطريحي البيات قبيلة في العراق ولم يزد على ما ذكره المؤلف

(٣) جاء في تحقيق كامل سلمان الجبوري البيات قبيلة في العراق إلا انه ذكر في هامش الصفحة ٤٥ ما يلي :- (٢) يقول الأستاذ فرحان احمد سعيد : أنهم من أبناء مرا بن ربيعة الطائي وكانوا يسكنون في منطقة القائم في محافظة الأنبار وعندما أوقعت زبيد الهزيمة بطي في منطقة الجابرية التابعة للقائم في الواقعة المسماة ذبحة آل مرا نسبة إلى مرا المذكور ، سمي آل مرا باسم البيات لأنهم بيتوا ليلا من قبل عشيرة زبيد

٧. آل ربيعة الطائيين

هذا الكتاب من تأليف فرحان احمد سعيد الحديثي وهو من عشيرة البيات في حديثة والكتاب صدر عن الدار العربية للموسوعات عام ١٩٨٣ ، ومما تقدم نلاحظ إن هذا الكتاب هو المصدر الوحيد الذي اعتمد عليه الأستاذ ثامر العامري والمرحوم الشيخ يونس السامرائي والأستاذ كامل سلمان الجبوري في روايتهم لقصة الذبحة ، ولقد أورد الأستاذ فرحان احمد سعيد تفاصيل القصة في الصفحات من ٢٠٣ إلى ٢٠٦ وسوف نذكر تفاصيل القصة التي رواها الأستاذ فرحان لنقارنها مع الروايات الأخرى .

لقد ذكر الأستاذ فرحان بعض الملاحظات حول قصة الذبحة نجملها بما يلي :-

(١) ذكر في الصفحة ٢٠٣ ما نصه (وسميت هذه الواقعة في التاريخ) ولم يستند إلى مصدر تاريخي ذكر القصة وقد بينا إن مصادر التاريخ في القرن الثامن لم تتطرق مطلقا لقصة الذبحة .

(٢) ذكر في الصفحة ٢٠٤ ما نصه (إن هذه الواقعة من الوقائع الحقيقية التي لا يرقى إليها الشك لتواترها بين جميع العشائر العراقية والسورية) وهو هنا يجعل التواتر من المصادر التي لا يرقى إليها الشك حتى لو تعارض ذلك مع مصادر التاريخ أو مع المنطق العلمي لتحليل الأحداث وسنرى في السطور التالية كيف يتعارض التواتر مع أحداث التاريخ .

(٣) ذكر في الصفحات ٢٠٤و ٢٠٥ إن المؤرخ الأستاذ عباس العزاوي قد ذكر هذه الواقعة ولقد بينا الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ العزاوي والذي أدى إلى سوء الفهم .

(٤) ذكر المؤلف في الصفحة ٢٠٥ إن الأستاذ العزاوي قد ذكر الواقعة في حديثه عن قبيلة الدليم (ومن وقائع الدليم المحفوظة وقعة المرا وهي انتصار على طي وهذه الواقعة حدثت مع آل مرا من طي بينها وبين العشائر الزبيدية) والمؤلف هنا اقتطع هذا الجزء ولم يكمله حيث إن الأستاذ العزاوي ذكر أيضا عبارة (لم نجد تدوينات عنها) (راجع ما ذكرناه عن كتاب موسوعة عشائر العراق الفقرة (١) .

بعد كل ما تقدم من كلام الأستاذ فرحان لا بد من سؤال وهو (ما هي المصادر التي استقى منها الأستاذ فرحان قصة الذبحة)

لقد استقى قصة الذبحة من المصادر التالية :-

(١) ذكر المؤلف في الصفحة ٢٠٦ ما نصه (لقد استمعت إلى هذه القصة من شيوخ معروفين منهم الشيخ الحميدي شيخ شمر في شتاء ١٩٥٣)

(٢) وفي نفس الصفحة قال (كما رواها لي الشيخ عبد العزيز الهذال في مضاربه في منطقة الروضتين في كربلاء عام ١٩٥٨)

(٣) وقال أيضا (كما استمعت إلى سرد طويل لتفاصيلها من المرحوم الحاج علوان الكهية العساف من شيوخ البو عامر عام ١٩٦٤)

(٤)وقال أيضا (كما رواها لي مؤخرا الحاج خليل إبراهيم الجار الله الجنابي من أهالي الفلوجة).

ومما تقدم أعلاه يتضح إن مصادر الأستاذ فرحان للقصة لم تكن سوى روايات شفهية مستندة إلى التواتر وهو أخذها عن رجال تناقلوها عبر الأجيال ولم يتحقق المؤلف من صحة هذه الواقعة ومدى تطابقها مع التواريخ ومع منطق الأحداث التاريخية وسوف نوضح ذلك في تحليل الواقعة إن شاء الله .



قصة ذبحة آل مرا كما في الروايات المتواترة

رويت ذبحة آل مرا بصيغ مختلفة بل بنصوص مختلفة مما يلقي ضلالا من الشك حول صحة هذه القصة ولقد ساهمت التقنيات العلمية الحديثة في انتشار الروايات والقصص وكل كاتب يرويها من وجهة نظره وتكون المصادر التي ينقل منها على النحو التالي :-

١. منقولة من كتاب ذكر مؤلفه الرواية كما سمعها ممن حكاها له .
٢. ما تناقله ابناء عشيرته توارثا دون تحقيق او دراسة .
٣. ان يكون قد حرَّف الرواية التي سمعها او تناقلها لغاية في نفسه .

وسنورد هنا ثلاثة نصوص ثم نقوم بدراسة كل نص على حدا دراسة تحليلية من خلال مقارنتها بالواقع التاريخي لمرحلة الحادث التاريخية ولقد قسمنا كل رواية الى مقاطع مرقمة باللون الاحمر ليسهل تتبعها اثناء التحليل.

١. رواية رقم (١) : قصة الذبحة كما رويت في كتاب آل ربيعة الطائيون

(١) روى الأستاذ فرحان احمد سعيد في كتابة آل ربيعة الطائيون في الصفحة ٢٠٣ واقعة الذبحة مستندا الى روايات شيوخ من شمر وعنزة والبو عامر والجنابيين وغيرها كما ذكر هو في كتابه وكما يلي :- (وملخص الواقعة إن احد شيوخ زبيد ويدعى سلطان جبر قد نازع أخاه جبريل على إمرة العشيرة وانتصر عليه فاضطر جبريل الابتعاد عن عشيرته التي كانت متواجدة آنذاك قرب آبار المحيور في حوران واتجه إلى عشيرة آل مرا الطائية التي كانت مستقرة في منطقة الجابرية لأن سقي الفرات الأعلى من الفلوجة إلى الرحبة كانت من اقطاعات آل ربيعة الطائيين الذين عرفوا مؤخرا باسم آل أبي ريشة وكانت عانة مركز إمارتها .

حل جبريل ضيفا وحليفا ونزيلا في مضارب آل مرا فرغب احد شيوخ آل مرا التزوج بإحدى بنات جبريل الثلاثة إلا أن الأخير مانع في ذلك فحدث نزاع انتهى بمقتله فأرسلت زوجة جبريل منْ يُعلم قبيلة زبيد بالحادث وما كان رسولها سوى ناقة لها تدعى (الحْنَيَّة) - - بتسكين الحاء وفتح النون وتشديد الياء وهاء ساكنة في الآخر – فقد شدت على ضرعها

لفافة فيها قليل من الشعر الذي قصته هي وبناتها من رؤوسهن ووضعت النفط الأسود على جسم الناقة لكي يظن من يراها أنها جرباء فلا يعمد إلى أخذها .

(٢)وما أن وصلت الناقة إلى قبيلة زبيد حتى عرفوها وعرفوا إن حادثا وقع لجبريل بعد أن شاهدوا لفافة الشعر الممزوج بالرماد والسخام فجمعوا جموعهم واستعدوا لأخذ الثأر والانتقام ممن قد يكون اعتدى على جبريل وعائلته فتقدموا بحشودهم وبرؤسائهم ثامر وجبر ومحمد وعبيد ودليلهم في زحفهم رجل من عشيرة الصلبة المعروفين بمعرفتهم ودرايتهم بمسالك البادية وحين وصلوا هجموا عليهم ليلا وبيتوهم واعملوا فيهم السيف وأسروا بعض رجال آل مرا) انتهى كلام الحديثي .

تحليل الرواية رقم (١)
-:

١. في المقطع (١) اثبت الاستاذ فرحان الامور التالية :-

أ- ان جبريل ارتحل من منطقة حوران حيث كانت تسكن عشيرته الى الجابرية وهذا يدل على ان قبيلة زبيد التي ينتمي لها هي ليست زبيد اعقاب عمرو بن معد كرب حيث ذكرنا في نسب القبائل ان هناك زبيد في غوطة دمشق (حوران) ذكرهم المؤرخون ولم ينسبوهم الى قبيلة وهذا عكس المشهور من ان القبائل الزبيدية الحالية هي من اعقاب عمرو بن معد كرب .

ان زبيد حوران ورد ذكرهم في القرن العاشر الهجري فقد ذكر ابن طولون ان الدوادار الاكبر اردبش عاد الى دمشق في ١٦ جمادي الاول سنة ٩١٦هـ وقد اوقع بعرب زبيد في حوران وقتل منهم جماعة وهرب جماعات وسبى من نسائهم واولادهم جماعات واما الابل والبقر والغنم فأخذ شيئا كثيرا[١] وهذا دليل على ان زبيد لم يغادروا حوران حتى القرن العاشر .

ان جبريل استقر لفترة من الزمن في الجابرية قبل مقتله والجابرية حسب الرواية تقع قرب القائم والمسافة بين حوران والقائم حوالي ٤٨٥ كم فهل يعقل ان يسير كل هذه

١ - محمد بن طولون ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨، ص ٢٧٨

المسافة دون ان يلتقي بقبيلة اخرى او واحة اخرى خاصة ان المناطق التي بين القائم وحوران تحوي الكثير من المناطق المأهولة .

ب- اذا سلمنا بأن جبريل قد اختار اللجوء الى آل مرا وهم اصحاب القوة والنفوذ والذين كان أميرهم يعين من قبل سلطان المماليك بموجب مرسوم سلطاني فهم متواجدون في حوران حيث مقر امارتهم فلماذا تجشم عناء السير بكل اثقاله مسافة ٤٨٥ كم الا اذا كانت جبريل يسير على غير هدي وبالتالي فانه سيتوقف ويستقر عند أي قبيلة يلتقيها في طريقه وهي كثيرة .

ت- يقول الاستاذ فرحان ان سقي الفرات كان من اقطاع ال ربيعة الطائيين وهو بهذا قال نصف الحقيقة واخفى النصف الثاني فسقي الفرات كان حتى بداية القرن الثامن من اقطاع مهنا بن عيسى أمير آل فضل ثم انتقل الى اولاده من بعده حتى كانت في النهاية من اقطاع حسين بن فياض الحياري أمير الموالي في القرن الحادي عشر الهجري وبالتالي لم يكن آل مرا متواجدين في هذه المناطق (راجع انساب القبائل في هذا البحث)

٢. في المقطع (٢) يذكر الاستاذ فرحان ما يلي :-

أ- ان الناقة التي كانت تحمل الرسالة قد وصلت الى قبيلة زبيد التي كانت تسكن في حوران أي انها سارت مسافة تقارب ٤٨٥ كم فهل من المعقول انها تسير كل هذه المسافة دون ان تحتاج الى ماء او طعام ودون ان تتيه في صحراء مفتوحة لا تحوي أي علامات دلالة ولو كانت للناقة القدرة على تذكر المسالك والطرق في الصحراء فلِمَ احتاج العرب الى الادلاء في تحركاتهم خلال الصحراء وما ذكرته المصادر التاريخية يشير الى ان جيوش الفتح الاسلامي لم تسير بدون ادلاء فاذا علمنا ان معظم تجارة العرب كانت مع العراق وبلاد الشام وبالتأكيد كانوا يستخدمون الجمال وهذه التجارة لم تتوقف لا في زمن الرسول صلى الله عليه واله وسلم ولا في زمن الراشدين رضوان الله عليهم وفي هذه الحالة تكون الجمال قد سارت في الطريق الى العراق وبلاد الشام وعليه أليس الاحرى بالعرب استخدام النوق للدلالة على الطريق .

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر من مكة الى المدينة استعان بدليل فلماذا لم يعتمد على الناقة كدليل صحراوي مع العلم ان المسافة بين مكة والمدينة اقل بكثير من المسافة التي سارتها ناقة جبريل .

ب- ذكر الاستاذ فرحان ان قبيلة زبيد قررت الثأر وتحركت الى الجابرية لهذا الغرض ولم يخبرنا كيف عرفوا ان اخاهم جبريل قتل في الجابرية وكيف عرفوا ان القاتل هم شيوخ آل مرا .

ت- ذكر الاستاذ فرحان ان قبيلة زبيد ما ان وصلت الى الجابرية حتى هاجمت آل مرا ليلا وأعملت فيهم السيف ، وهذا الفعل يعطيك انطباعا ان زبيد متعطشون لسفك الدماء وإلا فمن فعل العقلاء ان يتصلوا اولا ببنات أخيهم والاستعلام منهن عن هوية القاتل حتى لا يقعوا في المحظور .

٢. رواية رقم (٢) : قصة الذبحة كما في كتاب عشائر الغنامة في الفرات الأوسط

---

(١)كان الأخوان جابر و جبرين بدويين يرعيان أغنامهما قرب آبار واحة عقدة في نجد وكان لهما نسيبان أصغر سنا منهما ليست لهما مشورة في مجلس الشيوخ أو المشايخ كان أحدهما يدعى علي السالم والآخر ثامر وكان لجبرين سبع بنات أكبرهن تدعى موزة وهي الوحيد التي حفظت القرآن صغيرة ، يوم كانت لا تزال تجلس على ركبتي أبيها .

(٢)ذات مساء قال جابر : (إن حفظ القرآن ليس مستحبا للنساء) فاعتبر أخوه جبرين تلك الملاحظة بمثابة إهانة توجه إليه شخصيا ، فحل أوتاد خيامه وارتحل عن نجد أثناء ترحاله كان فتح بئرا ليرتوي مع ماشيته من مائها ، عاد فطمر البئر بعناية حتى لا يستطيع أحد أن يقتفي آثاره ، وظل على ترحاله دون توقف حتى وصل إلى غيضة وارفة الظلال على الفرات ، في مكان ليس بعيدا عن أبو كمال الحالية حيث نصب خيامه . أما بناته الجميلات فقد لبثن خلف ستائر خيامهن ، كما تقتضي تقاليد الشيخات .

كان من الطبيعي أن يثير هذا التستر مكامن النفس لدى أبناء الشيخ بركة ، شيخ الناحية ، فسارعوا إلى طلب أيدي البنات للزواج . وعندما كلمهن جبرين بالأمر أجبنه بصوت واحد : (لن نتزوج هؤلاء الشبان ، وحبذا لو نعود مسرعين إلى أبناء عمنا في نجد) .

عندما جاء الشيخ بركة وأبناه لتناول القهوة ، ألحوا بمعرفة الجواب ، وقالوا : (على العموم ، إذا لم تزوجنا بناتك فسنستل سيوفنا ونأخذهن بالقوة) فرد جبرين : (لا حاجة لمثل هذا الكلام ! أريدكم فقط أن تصبروا قليلا ريثما أبيع بعض الخراف والصوف حتى يتسنى لنا إقامة الأعراس التي تليق بهن ، ولو بالحد الأدنى !) .

(٣) في الواقع ، استعد جبرين للرحيل دون ضجة فجهز جماله وقلع خيامه في ليلة لا قمر فيها وفي الصباح عندما جاء الفتيان وهم على أتم ما تكون الزينة لتناول القهوة واختلاس النظر إلى البدويات الجميلات لم يجدوا لهن أثرا .

عندئذ أدركوا أنهم خدعوا فزمجروا بأعلى صوتهم : (إلى الركاب ، إلى الغزو) وجدوا السير في تعقب خطى جبرين وبناته ولم يبذلوا كبير عناء حتى وجدوا الهاربين فقتلوا جبرين على الفور ووزعوا بناته سبايا عندئذ صرخ أحد العاشقين من أبناء الشيخ بركة : (فليأخذ كل منا خطيبته ولنعد إلى أهلنا نقيم الأعراس وسط خيامنا !) .

فردت موزة : (دعونا على الأقل نكمل فترة الحداد على والدنا القتيل !) فصرخ الشاب : (وكم يلزمكن من الوقت لذلك؟) . أجابت موزة : (أربعين نهارا وأربعين ليلة) ثم دعت شقيقاتها للمجيء إلى خيمتها وعدم الخروج منها .

لم يكن لدى الشباب ما يضيفونه فتركوهن ينزوين في خيمتهن ثم لف الرجال جسد المسكين جبرين في بساط وأوثقوا الجثة بحبال الخيم ثم حفروا حفرة على بعد أمتار ودفنوه فيها وغطوا القبر بالحجارة .

(٤) آنذاك كانت موزة تفرغ حزنها في أبيات من الشعر دونتها على رق من الجلد :

الدموع تجري كالسيل على الوجنات . ..
ونحن هنا في الشمال عن أهل النسب مقطوعات
ضربونا بعيدان النبلات
ضربونا بعرض السيوف وأخذونا كالقطا أسيرات
أبطالنا ماتوا لكن بعد ما قتلوا من الأعداء تسعة
جبرين مات يا عين صبي الدمع على جبرين
جبرين ياللي كان مأوى للأيتام
جبرين ياللي كان يطعم كل جيعان

جبرين باللي كان يكرم بالغار كل كاتب القصدان

وين الربع يا ناس يقوموا يأخذوا بالثار

وين الأهل يحررونا ويمحوا العار

وين النشامة وينهم ، نحن نساكم يا أولاد العم

(٥) ثم قامت إلى الحنية ، ناقة السبق التي كانت لأبيها وأسرجتها ودست الرق مع جدائل شعرها وشعر شقيقاتها في الكيس الذي يحمي ضرع الناقة من ابنها الرضيع قبل الفطام ثم قبلت موزة الناقة على شفتيها الطريتين ودفعتها إلى خارج الخيام مدفوعة بغريزتها الحيوانية ، جدّت الناقة السير باتجاه نجد حتى وصلت إلى جوار حائل ومن ثم إلى عقدة التي كانت لجابر وجبرين .

وأصيب الناس بالدهشة لمشاهدة الناقة وحدها خاصة في عائلة جابر وفي أوساط أنسبائهم علي و تامر و كان ضرع الناقة قد تورم لكثرة الحليب فيه وعندما حاولوا فك الضرع سقط الرق وجدائل الفتيات .

(٦) وفيما كانت النسوة تولولن كان رجال القبيلة قد اجتمعوا على الفور وبدأوا المشورة فيما بينهم

- علينا أن ننطلق الآن للثأر وغسل العار .
- أليس الأمر صعبا ؟
- علينا دعوة جيراننا قبيلة طي .
- هذا مستحيل رد ثامر النسيب الأصغر لابن رشيد فبيننا وبين طي دماء أنسيتم قتلانا وقد بلغ عددهم ستة وستين رجلا ؟ وأنت يا جابر هل نسيت يدك التي قطعوها من الإبط ؟
- يكفي فلنعلن القسم بأننا سندفن ذلك الصراع .
- مهلا قال علي السالم فرخ العقاب الأمرد فأنا لن أقسم على ذلك .
- صرخ ثامر: (طريقك هي طريقي يا علي ، فأنا أيضا لن أقسم على ذلك) .

(٧) كتب جابر إلى قبيلة طي لكي يلتحق فرسانها بفرسان عشيرته ويجدوا السير طلباً للثأر من مقتل جبرين وقد أشهد الله على نفسه أن يدفن جميع خلافاتهم السابقة .

وما إن بدأ الركب بالتحرك حتى أعلم علي وثامر شيوخ قبيلة طي بأنهما يحفظان العهد لثلاثة أيام فقط بعد ذلك فليس هناك قسم يلزمهما بل إن من واجب كل منهم العمل على قتلهم ثأرا للقتلى الستة والستين الذين سقطوا في الاشتباك الأخير بين القبيلتين وليد جابر المقطوعة .

وما لبث مشايخ طي أن اغتنموا فرصة حلول الظلام حتى انسحبوا وأكمل جابر الطريق مع فرسانه منفردين .

وتساءل الجميع : كيف يتجهون ؟ . وكان الجواب أن ابحثوا عن الناقة التي حملت الرسالة وأطلقوها من عقالها لتسير على هواها واتبعوها .

وهكذا كان فقد اهتدت الناقة إلى الآبار التي مر بها جبرين في رحلته السابقة والتي غطت فوهاتها بعناية فائقة .

(٨) لاحظ ثامر أن الناقة بدأت تعطي إشارات تؤكد اقترابها من مكان فصيلها الصغير وذات صباح ، استيقظ تامر عند الفجر كان الجميع ما زالوا نياما مشى وحيدا خلف الناقة التي اهتدت الى مكان فصيلها وقد وضع في مخيم ليس ببعيد عن مخيم الأعداء فهجم ثامر على الحرس وقتلهم وحرر بنات عمه السبايا وأعادهن الى حيث الربع النجدي مخيما .

غضب جابر لأنه لم يبلغ بالخطة وأراد الانتقام من ثامر لكن موزة رجته بالصفح عنه ووقف علي السالم الى جانبه وهكذا تم وأد النزاع في المهد وقرَ رأي الجميع على الاستقرار في الرقعة التي خيموا فيها .

(٩) كانت المنطقة ذات طبيعة رائعة وكانت أرضها خصبة وفيها قمح كثير بالمقابل كان عليهم دفع قبيلة بركة والبدو التابعين لها عن تلك الأرض فكان لا بد من ركوب المخاطرة .

(سأعطي ابنة أخي موزة عروسا لمن يقتل بركة) قال الشيخ جابر ثم أردف : (لكن مثل هذا العمل يحتاج إلى فرسان أشداء وعلى الفتيان الذين لم يحلقوا ذقونهم بعد أن يبقوا في المضارب قرب الخيام وأنت يا فتى - مخاطبا علي - عليك بالتزام ما نصحتك به) .

(عفوا ، قال علي - لقد وجدت الموسى طريقها إلى ذقني) ثم تناول الموسى وغرز شفرتها في لحم وجنتيه حتى سال الدم منهما .

هكذا اكتسب علي الحق بشجاعته فدعي لحضور مجلس العشيرة فيما كانت موزة التي سمعت الحديث بكامله تقدم العلف لفرسه كي يلتحق بركب المقاتلين ويشارك في الانتقام من بركة وما إن انبلج الصباح حتى كان علي أول من امتشق سيفه طلباً للثأر وما إن وقعت عينه على بركة حتى سدد إليه رمحه فأرداه قتيلا ثم قفز عن جواده واتجه صوب الجثة المددة على الأرض وسحب سكينه من جيبه وفتح فم القتيل وقطع لسانه ووضعه في جيبه ثم امتطى صهوة جواده ليكمل المعركة .

لكن العبد سلامة ، عبد الشيخ جابر أبصر جثة بركة ممددة على الأرض فقال في نفسه : يا للخبر السار ثم نزل عن جواده وقطع رأس القتيل ووضعه في كيسه .

في المساء سرت في الخيام أخبار العبد سلامة الذي أحضر رأس بركة ، وتجرأ على طلب يد موزة ابنة شيخ نجد من عمها .

- السم خير من هذا الزواج ! قالت موزة لأخته غُرُة
- ثم انطلقت نحو جرن تدق فيه مزيجا ناعما من السم القاتل
- مهلا ، صرخ علي وقد دخل خيمة المجلس لتوه بعد أن سمع صوت المدقة وفهم كل شيء

ثم التفت نحو العبد سلامة ونهره على مسمع من الحاضرين : (أنت تدعي أنك قتلت بركة)

- نعم رد سلامة واليك رأسه ! ثم أخرج الرأس من كيسه وتركه يتدحرج على أرض الخيمة أمام الحاضرين
- (أتعتقد أن هذا الرأس بات عاجزا عن كشف دناءتك وفضح أمرك لأنه أخرس وليس له لسان ؟ مع ذلك فهو سيتكلم أبلغ الكلام الذي فيه إدانتك) ثم رمى باللسان أمام الفم الدامي على بساط الخيمة .
- وبضربة ملؤها الحقد والاحتقار والحقد قطع رأس العبد سلامة بسيفه وتركه يتدحرج على البساط قرب رأس بركة .
- خذ قالت غرًة التي دخلت خيمة المجلس لتوها ، هذه هي النصلة التي اخترقت قلب بركة وانتزعها منه ثامر ثم انصرفت بحشمة بالغة لتلتحق بأختها موزة خلف الستار ودعتها لترك جرن السم . وما لبثت الفتاتان أن عقدتا ضفائرهما وأطلقتا صوتهما بزغردات الفرح .

هكذا تحول المساء إلى حفلة عامرة احتفاء بالنصر وبعقد قران موزة على علي وغرة على ثامر .

(١٠) مرت الأيام فإذا بجابر ينكفئ نحو الشمال بعد صدامه مع جماعة علي وتحول جابر لأرومة عشائر الغنامة التي سكنت شعاب الخابور وهي تعرف اليوم باسم عشيرة الجبور .

واتجه ثامر إلى جنوب البو كمال فتحول إلى الجد الأعلى لعشيرة الدليم الممتدة ما بين منطقة القائم حتى بساتين النخيل في عانة .

أما جماعة علي فكانت الأقوى والأكثر عددا وقد تفرعت منها أفخاذ كثيرة منها البو كامل والبو كمال والشعيطات والثلث والبو خابور والبكَير واليهم تنتسب غالبية الفروع الصغيرة والضعيفة المتبقية من قبائل الفرات .

تحليل الرواية رقم (٢)

-:

١. في المقطع (١) اشار الكاتب الى ان كل من جابر وجبرين كانا في عقدة[١] وكان لهما نسيبان صغيران هما علي السالم (الذي تنتمي له قبيلة العزة) وثامر (الذي تنتسب له قبيلة الدليم) وهذان لم يكن له دور في المشورة او في مجلس الشيوخ كما يشير الى ان جبريل له سبعة بنات ، سنرى في السطور القادمة كيف يناقض الكاتب نفسه .

٢. في المقطع (٢) ذكر الكاتب الامور التالية :-

أ- قال جابر (ان حفظ القرآن ليس مستحبا للنساء) فاعتبر اخوه جبرين تلك الملاحظة اهانة) .

ان قول جابر ليس اكثر من رأي ولا يحمل أي معنى للإهانة ما لم يكن جبرين يبحث عن أي حجة ليغادر قومه .

ب- ان جبرين وصل الى غيضة وارفة الظلال على الفرات في مكان ليس ببعيد عن البو كمال .

ان المسافة التي قطعها جبرين وبناته حوالي ٧٥٥كم وهذه المسافة طويلة تحتاج الى أيام لقطعها مع ابله واغنامه فهل يعقل انه لم يجد في طريقه واحة او قبيلة يلجأ لها وهل من المعقول ان قبيلة زبيد لم ترسل من يبحث عن جبرين وبناته ويحاول اعادتهم الا اذا كان الجميع يكرهون جبرين وراغبين في ان يهجرهم كما ان الكاتب لم يخبرنا بعدد الرعاة الذين كانوا مع جبرين اذ ان بناته السبعة يحتجن الى اكثر من هودجين للتنقل وبالتالي يحتاج هو الى حداة يسوقون الابل وستكون الحركة بسرعة سير الرجل على قدمه ولهذا نتساءل كم يوما احتاج لقطع مسافة ٧٥٥ ، بالتأكيد سيحتاج الى مدة ليست بالقصيرة .

١ - عقدة : هي واحة في منطقة حائل في نجد وقد ورثتها قبيلة شمر بعد ان ارتحلت عنها قبيلة سنبس وحتى ذلك الزمان (القرن الثامن الهجري)كانت قبيلة عبدة قد التحقت بشمر في حائل

ت- ورد اسم الشيخ بركة شيخ الناحية ولم يذكر الكاتب اسم العشيرة التي هو شيخها

٣. في المقطع (٣) يقول الكاتب (في الواقع استعد جبرين للرحيل دون ضجة فجهز جماله وقلع خيامه في ليلة لا قمر فيها) .

وهذا امر صعب التصديق ان يسير دون ضجة مع كل هذه الجمال والاغنام .

٤. في المقطع (٤) ذكر الكاتب القصيدة التي كتبتها موزة وهذه القصيدة لو عرضناها على الشعر النبطي لوجدنا فيها ما يلي :-

أ- ركاكة كبيرة تدل على عدم قدرة قائلتها على نظم الشعر فهي بلا وزن ولا قافية

ب- وردت فيها كلمتين الاولى كالسيل في البيت الاول والثانية كالقطا في البيت الرابع وهذا خطأ كبير اذ ان البدو يستعملون كلمة مثل للدلالة على التشبيه .

ت- اخبرتنا القصيدة ان جبرين قتل تسعة ولو صدقنا ذلك فكم بقي من ابناء الشيخ بركة الذين هجموا على جبرين وبناته ، ان هذا الامر اقرب الى الخيال فعنترة بن شداد لم يستطع ذلك في اوج قوته فكيف بشيخ كبير اتعبه السفر المتواصل .

٥. في المقطع (٥) ورد ما يلي :-

أ- قامت الى ناقة السبق التي كانت لأبيها واسرجتها وهذا دليل على وجود فارس لهذه الناقة .

ب- دست الرق الذي فيه القصيدة مع جدائل اخواتها في الكيس الذي يحمي ضرع الناقة من ابنها الرضيع .

وهنا يحق لنا ان نتساءل كم تحتاج الناقة لقطع مسافة ٧٥٥ كم وخلال هذه الفترة كيف لها ان لا تتيه في الصحراء وكيف لم ترد الماء او الطعام ثم كيف لم يمتلئ ضرعها ليدر الحليب على الشعر والرق ويتلف الرق الذي فيه القصيدة وتمحى معظم القصيدة خاصة اذا علمنا ان الحبر الذي كان يستخدم في ذلك الزمان هو حبر بدائي خاصة عند البدو .

٦. في المقطع (٦) ذكر الكاتب ما يلي :-

أ- حوارا دار بين رجالات زبيد للتخطيط لأخذ الثأر وقد ذكر اسم ثامر النسيب الاصغر لابن رشيد ولسنا ندري من هو ابن رشيد هل هو حاكم حائل وهنا نقول لقد فات

مخترع القصة ان ابن رشيد حكم حائل بعد خمسة قرون من هذه القصة ان صحت اصلا .

ب- ذكر اسماء علي السالم وثامر من ضمن من حضر الجلسة والكاتب هنا يناقض نفسه ففي المقطع الاول ذكر ان علي السالم وثامر لم يسمح لهم بمشاركة الشيوخ وهنا يذكر انهم كانوا يناقشون ويجادلون كما لو كانوا شيوخا .

ت- ذكر الكاتب ان معركة حدثت بين طي و زبيد على ايام جابر فقد فيها جابر يده وقتل من زبيد ٦٦ رجلا وهذا يعني ان المعركة حدثت في القرن الثامن وهنا نعيد القارئ الكريم الى ما ذكره المرحوم العزاوي من ان صفو العلاقة بين طي و زبيد لم يتكدر منذ ايام المغول الى سنة ٧٩٥هـ حين قتلت زبيد عامر بن ظالم بن حيار وقد ذكرنا ذلك في صفحة (٩) من هذا البحث.

اما اذا كان مقصود الكاتب ان المعركة كانت بين زبيد وطي من سكنة حائل ففي القرن الثامن وما سبقه غلب اسم شمر على سكنة الجبلين وسمي الجبلين بجبل شمر ولم تذكر مصادر تاريخ نجد أي معركة بين زبيد وشمر سوى ما هو محفوظ في روايات شمر المتواترة وهي اخراجهم بهيج الجد الرابع لجابر فكم كان عمر جابر يا ترى ايام جده الرابع ليشارك في المعركة وتقطع يده .

٧. في المقطع (٧) ذكر الكاتب ان ثامر وعلي اخبروا شيوخ طي انهما يحفظان العهد ثلاثة ايام فقط فهل كانوا يتصورون ان الايام الثلاثة كافية ليصلوا الى حيث قتل جبرين وهذا دليل على عدم معرفتهم الى اين يتجهون .

كما اعاد الكاتب قصة الاعتماد على حاسة الناقة في الاستدلال على الطريق وقد ذكرنا في تحليل الرواية الاولى استحالة معرفة الناقة بمسالك الصحراء .

٨. في المقطع (٨) ان ثامر هجم على الحرس وحرر بنات عمه وهذا يدل على ان بنات جبرين كن محجوزات في خيمة على اطراف القبيلة وهذا لا يصح مع بنات يريد ابناء الشيخ بركة الزواج بهن ولو كن محجوزات في خيمة وسط القبيلة فاستحالة ان يعود ثامر حيا مهما كانت قوته وشجاعته فالنبال كفيلة باصطياده وهي لا تحتاج الى شجاعة عالية في المواجهة .

٩. في المقطع (٩) يروي الكاتب قصة التهيؤ للمعركة مع جماعة الشيخ بركة وكيف ان جابر كان يرى في علي السالم صغيرا وان علي السالم استحق حضور مجلس الشيوخ بعد ان جرح نفسه بالموس والكاتب هنا يناقض نفسه مرة اخرى ففي المقطع (٦) يروي ان علي كان يحضر مجلس الشيوخ ويناقش ويجادل ويعارض وفي هذا المقطع يقول ان علي استحق بشجاعته ان يحضر الى المعركة بعد ان جرح نفسه .

١٠. في المقطع (١٠) يذكر الكاتب ان جابر هو جد قبيلة الجبور .

ان المشهور ان جد الجبور اسمه جبر ونحن في هذا التحليل ذكرناه جابر تماشيا مع ما ذكره الكاتب لا اكثر .

٣. الرواية رقم (٣) : قصة الذبحة كما جاءا على احدى صفحات مواقع التواصل الاجتماعي

هذه الرواية نشرت على صفحة تسمى (قبيلة البو خليفة الدليمية) ونحن نقلناها كما هي رغم الاطالة التي فيها ليتبين مدى الخلط والتحريف في التاريخ والانساب وقد حذفنا منها قصة البئر الذي يزعمون ان محمد جد الجنابيين قد اخفاه فقط .

(١) ذبحة آل مرا هي المعركة التي وقعت بين القبائل الزبيدية التي جاءت من نجد لنجدة عائلة الشيخ جبرين بن مكتوم الذي قتله آل مرا وسبي عائلته واغتنام ابله ومواشيه في اعالي الفرات بعد ان وصلتهم رسالة (قصيدة) من احدى بناته الثلاث [موزه / جوزه / سعده] وتحديداً من موزه التي كانت تجيد القراءة والكتابة ونظم الشعر.

هذه الرسالة قد اثارت الحمية لدن القبائل الزبيدية فهبت لنجدتهن واخذاً بثأر الشيخ جبرين من (ال مرا) في معركة قلعة الجابرية في اعالي الفرات ولنا تفصيلا لآل مرا وازالة لبس قد وقع به النسابون وما يتوارث من حوادث هذه المعركة مع (آل مرا) الطائية خطئاً تاريخياً عند ابناء القبائل الزبيدية

(٢) ان واقعة (آل مرا) وقصة الناقة (الحنية) التي حملت رسالة الاستغاثة لقبائل زبيد هي واقعة فعلاً ولم تزل تتناقلها الاجيال وللوقوف على تفاصيلها وحوادثها لا بد من الوقوف عند أطرافها وخاصه (آل مرا) وما لحق بقبيلة طي العربية اثر الواقعة واسبابها ونتائجها واثاراً من لبس واثارة نعرات في حينها.

ان قلعة الجابرية للشيخ جابر من (ال مرا) التي دارت عندها المعركة الفاصلة بين من يدعي انهم من قبيلة طي والقبائل الزبيدية وقد جاء ذكرها في الكثير من الكتب والرحالة وسير حوادث العراق التاريخية.

وقلعة الجابرية هي في نواحي العنقاء بالقرب من الكرابلة غرب العراق – توابع قضاء القائم – والبعض يحدد مكانها على مقربة من محطة (t1) النفطية الحديثة الانشاء.

(٣)(وآل مرا) عشيرة قائمة من قبائل طي العربية وكانت امارة طي فيهم فانتزعها منهم ال فضل من طي وكان امير ال مرا الامير نجاد بن احمد بن حجي زيد بن شبل المتوفي ١٣١٥ م الموافق لسنة ٧١٥ هـ

وقد وتولى الامارة من بعده ثابت بن عساف بن احمد بن حجي زيد ومساكنهم بين تدمر السورية ومدينة عانه في اعالي الفرات شرقاً ، وكانت لطي برئاسة ال فضل امارة البر الشامي وتامين طريق الحج عبر بادية الشام وشبه جزيرة العرب ..

ان قلعة الجابرية سميت على اسم الامير جابر احد شيوخ ال مرا وكانت تؤمن طريق الحج القادم من تركيا وبلاد الشام الى الديار المقدسة في مكة والمدينة المنورة.

(٤)وكانت المقاتلة (الجنود) فيها من اصول تركية والبانية وبلقانية من بقايا الجيش التركي في عهد اخر خلفاء بني العباس بعد احتلال بغداد عاصمة الخلافة على ايدي المغول وهروب بقايا الجيش العباسي من الاتراك والاقوام غير العربية باتجاه الصحراء غرب بغداد الى صحراء الشام واطلق عليهم (الفداوية) وقد ضمتهم القبائل العربية مقاتلين في صفوفهم ولتمكنهم من اللغة التركية للتفاهم مع قوافل الحج الاتراك جعل لهم مكانة متميزة .

(٥)ومع الايام كبر شأن (الفداوية) المقاتلة تحت راية القبائل العربية واحياناً تمردت على سلطتها واحرزت شبه استقلال بمناطق نفوذها وعبر مراسلات (الظاهر ببيرس – والمنصور قلاوون) وتحالفاتهم مع (تكبين) واغاراتهم تحالفاً مع بعض جنود التتر على تدمر ونواحيها وسلبها وعودتهم الى الجابرية.

وما يشار الى تحالفهم مع (اتابك زنكي) وما اشير اليه جعل امارة الجابرية تتوسع شرقاً الى عانه وحديثه ومشارف مدينة هيت على نهر الفرات والامتداد الى اطرافها الصحراوية وصولا عبر البادية العراقية – الشامية الى تدمر.

(٦) والباحث يرى ان جنود قلعة الجابرية جلهم من الاتراك وهم تحت راية ال مرا وان الرئاسة لإمارة طي في غرب العراق وبادية الشام مغلوبة على امرها امام ظروف مرحلتها وسيطرت الاتراك على ولايتي الموصل وحلب وسلطانهم في دمشق ومصر .

ان وجود المقاتلة من اصل تركي في اعالي الفرات غرب العراق جعلهم هم حائط للأتراك والمماليك ضد للتتر في بغداد وهذا مما اعطاهم ميزة وساهم في عسف مقاتلي قلعة الجابرية على العشائر العربية لغياب الرقيب والحسيب وهم من يأكل باسنة رماحهم وما حدث من سلب وقتل للشيخ جبرين الزبيدي جاء في اطار نهجهم السلوكي واستجابة ابناء من زبيد في نجد اخذاً لثأره لدليل على ذلك.

(٧) ان من يقوم بالإغارة على املاك القبائل العربية سلباً ونهباً لمواشيهم بل وحتى قتلاً هم بقايا جيش اخر خلفاء بني العباس من الاتراك والمماليك (الفداوية) وان قبيلة طي العربية وان كانوا تحت رايتها اسماً وشكلا لأسباب متعددة فرضتها ظروف ومعطيات تلك المرحلة المفصلية بالتاريخ .

ان تحالف ابناء طي في نجد مع ابناء زبيد في قدومهم لقتال امارة الجابرية دليل على ما ذهبنا اليه وقد وقع البعض من المؤرخين بخطأ ادعاء ان من اغار على الشيخ جبرين الزبيدي هم من قبيلة طي والبعض قد التبس عليه الامر بالقول : ان من اغار عليه هم من قبيلة قيس (جيس) وهذا مجافي للحقيقة وان معركة زبيد معهم وليس مع طي لان مضارب قيس كانت بتاريخ وقوع المعركة بأعالي دير الزور للتاريخ نثبتها وان ما يروى عن بقايا حرس قلعة الجابرية عند مرابط الخيل قد اطلق عليهم (بيات الخيل) حيث ان من المتعارف عليه ان هناك فرقة من قبيلة البيات العربية اصولها تركية والنسابة يرجعونهم الى (الجنود عند مرابط الخيل – بيات الخيل) وامتزجوا مع ابناء ال مرا الطائية الاصلية بعد حرق قلعة الجابرية وانكسارهم هاربين في الجزيرة الفراتية وصولاً الى كركوك شرقاً عند نواحي (الدوز المليئة بالتركمان) وسكنهم بناحية (آمرلي) التي تسمت نسبة للأمير محمد بن ثابت بن عساف بن احمد حجي ويسمى (الامرلي) كما هو تاريخياً.

(٨) ان من ادعى من بعض النسابين: ان معركة قلعة الجابرية وما يطلق عليها (ذبحة المرا) اي مقتلهم وقعت بين قبيلة طي وقبائل زبيد انما يجافي الحقيقة تاريخياً شكلاً وموضوعاً كما ثبت لدي عبر الوثائق وما رواه عوارف الدليل الاقدمين وتوارث روايته من بعد.

(٩) عندما ارتحل الشيخ جبرين الزبيدي من مضارب اهله في نجد لخلاف مع اخيه السلطان جبر بن مكتوم امير زبيد وسلطانها في نجد ، ارتحل الى غرب العراق مع بناته الثلاث (سعده / جوزه / موزه) وزوجته (ريا اوريه بنت حسين اخت الفارس الفرز ثامر الزبيدي جد قبائل الدليم الزبيدية) وحط رحاله بمضارب تقع تحت سيادة ال مرا الطائية.

ونظراً لكثرة جماله ومواشيه وانفراده وحيداً في البر وطمعا بما يمتلكه شنت عليه قوة من مقاتلي (الفداوية) من قلعة الشيخ جابر صاحب قلعة الجابرية وقتلوه بعد نزال اتسم بشجاعة الفرسان ولكونه وحيدا وان القوة المهاجمة كثيرة العدد فأحاطوا به وقتلوه صريعاً فسبوا عائلته وساقوا مواشيه غنائم فاراد الشيخ جابر وبعض مقربيه الزواج ببنات جبرين الزبيديات (ويروى انهن على درجة من الجمال الفائق) الا انهن أبينَ ذلك تعللاً بالحزن على والدهن الصريع .

وقد اجادت موزه بنت جبرين وصفاً لما دار لهن ولوالدهن وقد كانت تجيد القراءة والكتابة ونظم الشعر :

اول لقوته تسعة فوارس — وثاني لقوته عشرة ابطالي
ولا عندنا من يحامي كفاه — برد الاولين على التوالي
اول لقوته شحة فوارس — وثاني لقوته عشرة ابطالي
ثالث لقوته صالوا عليه — وبعد العز ذاق الهوالي
قتلوا ابونا فارس كل هيجاً — ابو عين عوين للعيالي
وكم عاشوا على زوده يتامى — وكم من ارملة ولها اطفالي
ابونا المكسي العريان ثوبوا — وطول الدهر ما يلبس اسمالي.
قبل الصبح صالوا على ابونا — كراديس شجعان ابطالي
وقام ابونا عليهم بعزم ليث — بهمة ابو الحسنين صالي
وخاض بخيلهم يمنى ويسرى — ويضرب باليمين والشمالي .

لقد استطاعت عائلة الشيخ جبر من اقناع قاتلي والدهم بضرورة التريث بالزواج لحين انجلاء عدة والدهن وذهاب الحزن على قتيلهم والعائلة تضمر شيئاً خفياً لإخبار عمومتهن بنجد

واسعافهن واخذاً بالثأر فكتبت موزه قصيدة استنجاداً لهم وارسالها مع الناقه التي تعرف مضارب اهلها بنجد عند بئر هداج الاشهر بئراً والاكثر غزارة ماءاً والاعذب طعماً وتعود ملكية هداج توارثاً لقبائل زبيد ويقع البئر شمال غرب الجزيرة العربية وحالياً عند مدينة تيماء – من نواحي تبوك

ورود الناقة الحنية لمضارب اهلها بنجد

---

(١٠) نعم لقد اتجهوا غرباً الى غرب العراق بعد ورود قصيدة الاستغاثة من موزه بنت الشيخ جبرين وربطها على بطن الناقة برقٍ مكتوباً عليه قصيدة الاستغاثة فوردت الناقه مضارب قبائل زبيد عند بئر هداج فعرفوها فوجدوا ما هو مربوطاً تحت بطنها من قصيدة حتى اجتمعت رئاسة زبيد وقررت النجدة فارتحلوا طلباً للثأر بقيادة السلطان جبر بن مكتوم لمحاربة (فرقة ال مرا) في قلعة الجابرية التي سادت باسم قبيلة طي لسنوات معدودة بحكم المرحلة المفصلية التاريخية لحال العراق وبلاد الشام بعد دمار هولاكو للعراق واجتياح وتخريب بغداد عاصمة الدولة العربية الاسلامية ومهادنة سلطان بغداد آنذاك (خر بنده) الذي اطلق يد ال مرا في غرب العراق واقتطع لهم الاراضي حتى وصول نفوذهم للحلة وكذلك علاقتهم مع حكام المماليك في مصر وما يخلع عليهم وما ينعم عليهم السلاطين فلهم المرتبات والاعطيات العالية فهم سهام كل سلطة تدفع اكثر فهم القوة الانتحارية ولذا جاءت تسميتهم بالفداوية – اي الفدائيون .

(١١) فلما كبرت شوكتهم وتطاول عسفهم على الناس قام امير العرب سليمان مهنا بن عيسى امير قبائل طي بغارة على التركمان ومن والاهم من العرب النازلين في تدمر فقتلهم ونهب اموالهم لانهم قد نازعوا ال مهنا على السلطنة الطائية وهذه الغارة كانت على فرقة (ال مرا) وهذا دليل لما ذهبنا اليه انفا فلو كانوا من طي لما اغار عليهم سليمان و هم من قتل والده الذي تنازع مع امراء قلعة الجابرية ، ولو كانوا عرباً لما تصاهروا مع المماليك الاتراك ، وهذا قد يقطع الشك بان من يحكم بقلعة الجابرية ويدعون انتساباً بطي او (لآل مرا) ورأي الباحث: ان ال مرا ليسوا عرباً .

(١٢) لقد اوردنا ان ابناء طي القحطانية قد تجمعوا مع ابناء زبيد لقتال (آل مرا) في قلعة الجابرية اجل انهم من بقايا الاتراك من جيش الدولة العباسية في بغداد وسامراء وحالهم حال بقايا فرسان اوروبا الذين انكسروا بارض العرب فجالوا في صحراء العرب في المشرق العربي تحت مسمى (البدو الصلبة).

فكيف بأبناء طي في نجد ان يهبوا غازين لأبناء جلدتهم ان كانوا من طي وهذا لا يصح مع العصبية القبلية آنذاك .

(١٣) لقد اعدت رئاسة قبائل زبيد العدة ارتحالاً واستعداداً حربياً لمحاربة فرقة (آل مرا) في قلعة الجابرية بعد ورود رسالة الاستغاثة فجهزوا جيشاً بقيادة السلطان جبر المكتوم ومعه الفرسان :الفارس ثامر بن حسين الجد الاعلى لقبائل الدليم والفارس محمد بن علي بن محمد بن مكتوم جد الجنابيون / والفارس عزيز بن محمد بن علي جد العزة وابنائهم وأحفادهم وكذلك اولاد السلطان جبر (عبيد – جباره – عبدالله – محمد) اما خالد فقد استخلف على مضاربهم وادارة الاملاك في نجد وبئر هداج فساروا قاصدين قلعة الجابرية والناقة الحنية بركبهم فنزلوا على مقربة من نواحي قلعة الجابرية بعد مسير متعب في عمق الصحراء ارتحالاً مع اهلهم وفرسانهم وقد استغرقت رحلتهم التاريخية : (منذ ارسال الناقة المبعوثة من الجابرية الى نجد (مضارب بئر هداج) نواحي تيماء شمال غرب الجزيرة العربية والى يوم نزولهم نواحي قلعة الجابرية عشرة ايام) بصعوبتها الشاقة انتصاراً للعائلة المكلومة بمقتل الشيخ جبرين واصطبار الاخوات (سعده – جوزه – موزه) على الضيم والاستعباد المحدق بهن (سبايا عند قاتل والدهن) وانتظاراً لمقدم النجدة من ابناء عمومتهن وشقة السفر والترحال ركباناً في عمق صحراء العرب.

(١٤) وبعد انجلاء غبار مذبحة قلعة الجابرية التي طالت جنودها وحراسها من الاتراك والمرتزقة وبعض الامراء من ناصرهم من طي او بعض العشائر الاخرى اندفعت قبائل زبيد تطارد فلولهم ومن ناصرهم حتى وصلوا الى دير الزور وتمت لهم السيطرة على ضفتي نهر الفرات من دير الزور الى غرب هيت وعبر السلطان واولاده ومن معه نهر الفرات باتجاه الجزيرة الفراتية صعوداً الى حلب مروراً بنواحي دير الزور ، ولم يزل قبرا السلطان جبر والفارس ثامر شاخصان في تلك النواحي ومع السنين اتجه الاحفاد الى الموصل وكركوك

والفرات الاوسط وشرقاً مع نهر الفرات محافظة الانبار وغيرها من المدن العراقية ولم يزل الكثير من ابناء قبائل زبيد وابناء السلطان جبر في الاراضي السورية

تحليل الرواية (٣) -:

١. في المقطع (١) يوضح الكاتب ما يلي :-

أ- ان السبب في قتل جبرين كان لغرض نهب ما يملكه من ماشية وهنا يخالف معظم الروايات .

ب- بين ان المعركة كانت مع ال مرا ولم يوضح لنا كيف علمت زبيد ان القاتل من ال مرا

٢. في المقطع (٢) يذكر الكاتب ما يلي :-

أ- ان واقعة آل مرا هي واقعة اصلا لتناقلها عبر الاجيال ونسي ان الكثير من الاساطير تناقلتها الشعوب عبر الاجيال وهي اكاذيب.

ب- يذكر ان الواقعة ذكرتها كتب التاريخ والرحالة وسير احداث العراق التاريخية ... اما كتب التاريخ فقد اثبتنا انها لم تذكر الواقعة على الاطلاق واما كتب الرحالة الاجانب فهم يروون ما يسمعون غير انهم و للأمانة يذكرون انها من مرويات القبائل[١] واما سير احداث العراق التاريخية فقد اوضحنا في تناولنا لكتاب تاريخ العراق بين احتلالين للمرحوم عباس العزاوي كيف حصل اللبس .

٣. بين في المقطع (٣) كيف ان آل مرا عشيرة قائمة من قبائل طي وسنرى في المقاطع التالية كيف يناقض نفسه.

وفي نفس المقطع يشير الكاتب الى ان قلعة الجابرية كانت تؤمن طيق الحج القادم من تركي وبلاد الشام الى مكة والمدينة ، نقول فأما تركيا ففي ذلك الزمان لم يكن لها وجود وان سكان الارض التي تسمى تركيا حاليا هم الروم البيزنطيين واما طرق الحج الشامي فكان عبر فلسطين ثم الى بلاد الحجاز .

٤. في المقطع (٤) ذكر ان جنود الجابرية هم من اصول تركية والبانية وبلقانية وانهم من بقايا الجيش العباسي ويطلق عليهم لقب الفداوية .

١ - مس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، ١٩٧١ ، ص ٤٠٩

لقد فات الكاتب ان البانيا ودول البلقان لم تصلها الجيوش الاسلامية الا زمن الدولة العثمانية اي بعد سقوط الخلافة العباسية بمائتي سنة او اكثر .

ثم لو كانوا من بقايا الجيش العباسي لكان عمر الواحد منهم اكثر من ١٥٠ سنة زمن وقوع الذبحة ، فهل هناك عاقل يقبل بذلك ؟ ثم ان الجنود الاتراك تجمعوا في مصر ثم اشتركوا في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ ولم يفروا الى الصحراء كما تصور الكاتب .

اما لقب الفداوية فهو تسمية تطلق على طائفة من الإسماعيلية أسسها الحسن بن الصباح وقد ذكرها ابن خلدون في اكثر من موضع في تاريخه كما انه عرفهم على انهم (ويسمون بالفداوية لأنهم يقتلون من أمرهم أميرهم بقتله ويأخذون فديتهم منه)[١] ولا علاقة لهم بالجنود الاتراك .

٥. في المقطع (٥) ذكر الكاتب ان الفداوية كبر شأنهم بسبب تحالفهم مع الاتابك زنكي وان امارة الجابرية توسعت بسبب هذا التحالف وقد نسي ان الاتابك نور الدين زنكي توفي سنة ٥٦٩هـ أي قبل ان يفر الجنود الاتراك حسب زعم الكاتب بحوالي ٨٧ سنة وكيف يتحالفون مع رجل ميت وتتوسع سلطتهم بسبب هذا التحالف .

٦. في المقطع (٦) ذكر الكاتب ان جنود الجابرية جلهم من الاتراك ولم يشر الى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة.

٧. في المقطع (٧) ذكر الكاتب ان من يقوم بغزو القبائل العربية هم الجنود الاتراك متناسيا ان الغزو هو من طبيعة العقلية العربية الصحراوية وان هناك شواهد كثيرة منها ان قبائل طي تقاتلت في ما بينها مدة ١٣٠ عام في حرب الفساد وان قبائل ربيعة تقاتلت في ما بينها ٤٠ عاما في حرب داحس والغبراء وان حرب البسوس استمرت لعشرات السنين .

٨. في المقطع (٨) يقول الكاتب انه قد ثبت لديه من الوثائق وما رواه عوارف الدليم ان المعركة لم تكن بين زبيد وطي فيا حبذا لو تكرم الكاتب وهو يقرأ هذه السطور ان يبرز لنا هذه الوثائق ثم لو كان عوارف الدليم قد اخبروه فمن اخبر عباس العزاوي وفرحان الحديثي بأن المعركة كانت مع ال مرا الطائية.

---

١ ـ عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ج٥ ، ص ١٥١

٩. في المقطع (٩) يقول الكاتب ان جبرين ترك قومه اثر خلاف بينه وبين اخيه السلطان جبر وارتحل مع بناته الى غرب العراق وهذا يعني انه قد سار من بئر هداج الى قرب القائم ما يقارب من ٧٨٣ كم وهنا نعيد القارئ الى ما ذكرناه في تحليل المقطع (٢) من الرواية الثانية ، علما ان السلطان في ذلك الوقت هو السلطان برقوق الشركسي وسلطنته على مصر وبلاد الشام والحجاز ونجد واليمن .

١٠. في المقطع (١٠) ذكر الكاتب ما يلي :-

أ- ان قبيلة زبيد توجهوا الى غرب العراق بعد ان وصلتهم رسالة الاستغاثة مع الناقة وهنا نعيد القارئ الكريم الى تحليلنا للمقطع (٥) من الرواية الثانية .

ب- ذكر ان السلطان خدابنده اطلق يد آل مرا في غرب الفرات حتى وصل نفوذهم الى الحلة .

يبدو لي ان الكاتب لا يستطيع التمييز بين آل مرا و آل فضل اذ ان منازل آل مرا لم تكن يوما في غرب العراق وقد اوضحنا ذلك في تحليلنا للمقطع (١) من الرواية الاولى اما الحلة فقد اقطعها السلطان خدابنده المغولي الى الامير مهنا بن عيسى عام ٧٢٠هـ واوكل مهنا مهمة ادارتها لابنه سليمان الذي كان له نوابا يجبون له الخراج من الفرات[1] مما يدل على ان سقي الفرات كان من املاك ال فضل وليس ال مرا.

١١. في المقطع (١١) ذكر الكاتب ما يلي :-

أ- قام امير العرب سليمان مهنا بن عيسى امير قبائل طي بغارة على التركمان والعرب النازلين في تدمر فقتلهم ونهب اموالهم لانهم قد نازعوا ال مهنا على السلطنة الطائية وهذه الغارة كانت على فرقة (ال مرا) .

هذه الغارة حدثت سنة ٧١٥هـ والكاتب هنا نقلها من تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي[2] ولكنه لم يكملها فقد ذكر العزاوي عبارة (وعاد الى جهة الشرق) أي انه جاء من جهة المغول وعاد اليهم وقد اوضح المقريزي في السلوك سبب هذه الغارة

---

١ - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج٢ ، ص ١٦٤

٢ - عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ج١ ، ص ٤٨٨

وهي ان سليمان بن مهنا قد جرد من اقطاعه في الشام بعد فراره الى جهة المغول[1] ولسنا ندري لماذا اقحم الكاتب اسم آل مرا.

ب- ذكر الكاتب عبارة (و هم من قتل والده الذي تنازع مع امراء قلعة الجابرية) بينما تشير مصادر التاريخ الى ان وفاة مهنا كانت وفاة طبيعية وقد ناهز الثمانين من العمر (راجع كتاب السلوك للمقريزي ج٢ص٣٨٩ و كتاب المختصر في اخبار البشر للملك المؤيد ج ٤ص١١٦و كتاب تاريخ الاسلام للذهبي ج٢٥ ص٣٩٩ وكتاب الدرر الكامنة للعسقلاني ج٤ص٣٧٠) فهل هناك شك ان وفاة مهنا كانت طبيعية وليس قتلا .

ت- ذكر الكاتب عبارة (ولو كانوا عرباً لما تصاهروا مع المماليك الاتراك) يبدو ان الكاتب لم يطلع على التاريخ ولا يعلم ان امهات الخلفاء العباسيين من المعتصم الى اخر خليفة عباسية كن من الاتراك وان الخليفة القائم بالله زوَّج ابنته من طغرل بك السلجوقي (راجع الكامل في التاريخ للابن الاثير) ، ثم لم يخبرنا الكاتب اي من امراء آل مرا قد صاهر الاتراك .

ث- وردت عبارة (ورأي الباحث: ان ال مرا ليسوا عرباً) والكاتب هنا يناقض نفسه فهنا يقول ان آل مرا ليسوا عربا بينما في المقطع (٣) يقول ان آل مرا عشيرة قائمة من قبائل طي الا اذا كانت طي ليست عربية .

١٢. في المقطع (١٢) ذكر الكاتب :- لقد اوردنا ان ابناء طي القحطانية قد تجمعوا مع ابناء زبيد لقتال (آل مرا) في قلعة الجابرية .

لقد اثبتنا ومن خلال المصادر في تحليل الرواية رقم (١) ان منازل آل مرا لم تكن في غرب العراق اطلاقا ، ولم يثبت ان طي اشتركت مع زبيد في هذه الواقعة .

١٣. في المقطع (١٣) ذكر الكاتب امرين :-

أ- ذكر الكاتب ان رئاسة زبيد قد اعدت العدة ثم ذكر اسماء القادة وانهم تركوا البعض منهم في مضارب بئر هداج لإدارة الاملاك ورحلوا الى الجابرية وهنا يحق لنا ان نسأل كما سألنا قبل ذلك ما ادرى زبيد ان بنات جبرين في الجابرية وان آل مرا هم القتلة خاصة وان القصيدة التي ارسلتها موزة لم تذكر هوية القتلة .

١ - احمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، مطبعة لجنة النشر ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ج٢، ص ١٤٥

ب- ذكر الكاتب ان الرحلة من ارسال الناقة من الجابرية حتى وصولها الى بئر هداج ثم ارتحال زبيد الى الجابرية استغرقت عشرة أيام .

ان هذا الكلام يعني ان الناقة سارت منفردة مسافة ٧٨٣ كم الى ان وصلت الى مضارب القبيلة وعرفت القبيلة ما حل بجبرين وبناته ثم تستعد القبيلة وتجمع امرها وتسير الى الجابرية كل هذا بعشرة أيام ؟ هل هناك عاقل يصدق هذا الكلام .

١٤. في المقطع (١٤) يذكر الكاتب توزع ابناء زبيد ومنها انتقال جبر واولاده الى جهة حلب اي انه سار ٤٥٢كم من الجابرية الى حلب وحلب تقع بمسافة ١٣٠كم الى الشمال من السلمية عاصمة إمارة طي وحسب التاريخ المتوقع فان ذلك في زمن الامير نعير بن حيار بن مهنا الذي فرض سيطرته الكاملة على تلك النواحي فهل من المعقول ان يقوم جبر بقتل ابناء عم نعير ثم يسكن الى جواره ؟؟؟ سؤال بحاجة الى جواب مقنع .

٤. مقارنة بين الروايات الثلاثة

أ- اجمعت الروايات على ان دليل زبيد في الوصول الى ارض المعركة هي ناقة .

ب- اجمعت الروايات على ان بنات جبرين قد قصصن شعورهن .

ت- اختلفت الروايات في منطقة سكن زبيد ففي الرواية الاولى كانت في حوران وفي الثانية كانت في عقدة قرب حائل في نجد وفي الثالثة كانت في بئر هداج في تيماء من ارض الحجاز ولقد ذكرنا ان زبيد حوران كانوا متواجدين في حوران حتى القرن العاشر الهجري .

ث- اتفقت الرواية الاولى والثالثة على ان المعركة كانت مع آل مرا اما في الرواية الثانية فكانت المعركة مع عرب الشيخ بركة ولم تتم تسميتهم .

ج- اتفقت الروايات الثلاثة على ان سبب المعركة هو قتل الشيخ جبرين بن مكتوم كما اتفقت على ان سبب قتله كان رفضه تزويج بناته.

ح- اتفقت الروايات على ان موزة كتبت قصيدة وارسلتها الى قومها ولكن الروايات اختلفت في القصيدة ذاتها .

خ- في الرواية الاولى عمد فرحان الحديثي الى جعل الفرات من املاك آل مرا بينما تشير الروايات التاريخية الى انه من املاك آل فضل وهذا من اجل اثبات صحة الواقعة من خلال اثبات تواجد آل مرا في منطقة الفرات .

د- في الرواية الثالثة حاول كاتبها التلاعب بالتواريخ لإثبات صحة دعواه من ان سكان الجابرية كانوا من التركمان فعمد الى ذكر مغالطات تاريخية مما يعطي دليلا واضحا على نية مبيتة لدى الكاتب .

ذ- اتفقت الروايتان الاولى والثالثة على ان المعركة اسفرت عن انهاء امارة آل مرا وتفرق اعقاب مرا .

ر- اتفقت الروايات الثلاثة على عدم ذكر تاريخ الذبحة غير ان الرواية الثانية قالت ان ثامر هو نسيب ابن رشيد الذي حكمت اسرته حائل من سنة ١٨٣٤م الى سنة ١٩٢١م مما يعطي انطباعا ان الذبحة كانت في تاريخ قريب .

ومما تقدم يمكننا القول ان الروايات الثلاثة بكل ما فيها من تطابق واختلاف إنها كانت رواية واحدة في البداية ثم نسجت على غرارها الروايات الاخرى .

ان الرواية الاولى هي الاكثر شيوعا بين الروايات التي يرددها الناس اما الرواية الثانية فلم نعرفها الا من مصدرها الذي لابد انه سمعها من بعض الناس وقام بتدونها اما الرواية الثالثة فهي الاشد غرابة والاكثر اطالة والاكثر تناقضا حاول كاتبها ابعاد قبيلة طي عن الصراع والصاق القضية بالتركمان واظنه اعتمد على ان عشائر آل مرا من البيات والامرلية يتكلمون بلسان تركماني ونحن انما ذكرناها لنبين للقارئ كيف يحدث التزوير فهذه الرواية وان كانت تحوي على مغالطات تاريخية كبيرة الا انها بالترديد وبتقادم الزمن تصبح حقيقة ذلك لأن ليس جميع الناس مطلعة على التاريخ كما ان من يطلع على التاريخ يتعامل معه كانه نصوص قصصية للمتعة ولا يتعب نفسه بالتحليل ودراسة الاحداث .

بعض أحداث آل مرا في القرنين التاسع والعاشر الهجريين

ان المتداول من الروايات والذي يتناقله الناس تواترا ان آل مرا تفرقوا بعد الذبحة وبقاياهم اليوم هم البيات وانتهت امارتهم ، في هذا المقطع سنذكر بعض الاحداث التي مرت على امارة آل مرا في القرنين التاسع والعاشر أي في القرنين التاليين للقرن الذي حصلت فيه الذبحة حتى يتأكد القارئ الكريم ان امارة آل مرا لم تنتهي بعد قصة الذبحة التي يتداولها البعض ، وقد اعتمدنا هنا على كتاب اظهار العصر لأسرار أهل العصر المعروف بتاريخ البقاعي لمؤلفه ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفي سنة ٨٨٥هـ وكذلك كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لمؤلفه محمد بن طولون الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣هـ .

١. في العشرة الثانية من ربيع الثاني سنة ٨٥٥هـ وصل الخبر انه كان هناك على بلاد حوران على قرية يقال لها الخمان وقعة بين مقلد وابي بكر بن قديم أميري آل مرا قتل فيها مائتا رجل (تاريخ البقاعي ج١ ص ١١٢)
٢. في ٢٥ شوال سنة ٨٦٥هـ قام نائب السلطان في دمشق الامير جانم المملوكي بعزل الامير مقلد آل مرا عن أمرة عرب حوران الا ان السلطان ابو سعيد الناصري الغى ذلك العزل ومنح الامير المقلد خلعة واعاده الى إمارته. (تاريخ البقاعي ج٣ص ٣٣٦)
٣. في احداث سنة ٨٨٥هـ ذُكر ان الامير مقلد كبير العرب حضر عند النائب فشتمه وسبه وعنفه تعنيفا كثيرا أشرف منه على التلف فقام الامراء الكبار على ارجلهم وشفعوا فيه . (مفاكهة الخلان ص ١٤).
٤. في العام ٩٠٢هـ كان الامير عامر بن المقلد وولده وولد عدوه جانباي مسجونين في قلعة دمشق . (مفاكهة الخلان ص ١٤٥)
٥. في يوم الاثنين الثامن عشر من شوال كسر جانباي أمير آل مرا اعداؤه (هم في الغالب اتباع الامير عامر بن المقلد) (مفاكهة الخلان ص ٢٠٨)
٦. في ١٦ ربيع الثاني سنة ٩١٧هـ ارسل حاجب الامير جانباي البدوي تعاون على عرب آل بياض فأرسلت سرية فأخذتهم وجابت منهم ملا كثيرا (مفاكهة الخلان ص ٢٨٧)

٧. في يوم الاربعاء العاشر من شعبان ألبس النائب جان بردي الغزالي خلعة للأمير ابن جانباي البدوي امير الشام ودركه بلاد حوران والمرج (مفاكهة الخلان ص ٣٣٦).

بعد هذا التاريخ سقطت بلاد الشام بيد السلطان سليم الاول العثماني وانتهى عهد دولة المماليك والدلة العباسية وقامن الخلافة العثمانية .

مما تقدم يمكننا القول ان امارة آل مرا استمرت حتى هذا التاريخ أي بعد التاريخ التقريبي للذبحة بحوالي ١٣٥سنة . فهل سقطت إمارة آل مرا في الذبحة وتفرقوا ؟ ! .

خلاصة القول

بعد ان ذكرنا التعريف بالقبائل وسردنا الروايات وقمنا بتحليلها وذكرنا الاحداث التي مرت على آل مرا في القرون التي تلت التاريخ التقريبي للذبحة يمكننا القول :-

١. اجمعت الروايات على ان السبب في قتل جبرين هو رفضه تزويج بناته من آل مرا ، ولنا ان نتساءل هل هناك قصة في التاريخ تشبه كليا او جزئيا قصة الذبحة ؟ الجواب نعم هناك قصة من التاريخ العربي تشبه الى حد كبير قصة الذبحة وهي قصة مقتل الملك النعمان بن المنذر فملك الفرس اراد الزواج من احدى بنات النعمان وامير الجابرية اراد الزواج من احدى بنات جبرين ، الملك النعمان رفض وجبرين رفض ، بنات النعمان على درجة عالية من الجمال وبنات جبرين كذلك ، بنات النعمان قصصن شعورهن وارسلنها الى قبائل العرب وبنات جبرين فعلن ذات الفعل ، هند بنت النعمان كانت شاعرة وموزة بنت جبرين كانت شاعرة ، ملك الفرس قتل النعمان وامير الجابرية قتل جبرين ، هند بنت النعمان تكتب القصائد والرسائل تستنهض قبائل العرب ، وموزة تكتب قصيدة ورسالة تستنهض اعمامها ، قبائل العرب تهب وتحدث مقتلة عظيمة للفرس في معركة ذي قار وقبيلة زبيد تهب وتحدث مقتلة عظيمة لآل مرا في معركة الجابرية.

هناك شبه كبير بين القصتين يصل الى حد التطابق والفرق كان في الجزئيات لذا فنحن نرى ان قصة زواج ملك الفرس من احدى بنات النعمان هي الاساس الذي نسجت على غراره قصة بنات جبرين والله اعلم .

٢. لم ترد قصة الذبحة في أي مصدر تاريخي سوى في كتب العزاوي الذي ذكر انه لم يجد لها تدوينات مما يدل على انه دوَّن المسموع من الناس ، كما ذكرها فرحان احمد سعيد الحديثي كتابه آل ربيعة الطائيون معتمدا على رواية متواترة سمعها من اربعة اشخاص اما المصادر الاخرى فقد اعتمدت على ما ذكره الحديثي دون أي تمحيص او تدقيق .

٣. ذكرت الروايات ان آل مرا تفرقوا وانهارت امارتهم بينما تشير مصادر التاريخ الى استمرار امارتهم حتى الغزو العثماني لبلاد الشام في القرن العاشر مما يؤكد بطلان القول بانتهاء الامارة .

٤. لقد ثبت من مصادر التاريخ ان آل مرا لم يسكنوا العراق وان منازلهم كانت في حوران وعليه يكون وجودهم قرب عانة محض خيال لا اكثر .

لكن ربما يسأل سائل : أليس من الممكن ان يكون جزءا من آل مرا قد تواجد قرب عانة ؟ والجواب على ذلك هو ممكن ولكن من المنطقي ان يعود الانسان الى قومه في حال تعرضه لمكروه كالذبحة خاصة وان آل مرا كانوا يملكون حوران ولهم فيها السلطة والسطوة فلماذا فر الناجون باتجاه مناطق العراق ؟ بالتأكيد لن تجد اجابة شافية لهذا السؤال .

٥. لقد ثبت ان زبيد حوران لم يغادروها حتى القرن العاشر بينما التاريخ التقريلي للذبحة كان في القرن الثامن وبالتالي تبطل القصة التي رواها احمد سعيد فرحان حيث يقول ان زبيد كانت في حوران .

٦. الروايات المتداولة بين الناس فيها اختلاف كبير يصل حد التناقض فالاختلاف واضح في منطقة السكن وقصائد الشعر مما يعطي دليلا واضحا ان هذه الروايات من نسج شعراء او رواة متكسبين وهذا من يرجح بطلانها اصلا .

٧. ان هذه الروايات وان كانت شائعة بين الناس فإنها لا تعدو ان تكون من نسيج خيال المتكسبين للمال انتشرت في وقت قل فيه الوعي وازداد فيه الجهل وانعدمت فيه المعرفة والاطلاع على التاريخ اضافة الى شيوع العصبية القبلية التي تساعد في انتشار الروايات والقصائد التي تدل على الفخر والقوة .

لذا ومن جميع ما تقدم نستنتج ان قصة ذبحة آل مرا (واقعة الحنية) باطلة مئة بالمئة وانها نسيج خيال بدوي متكسب لا غير .

فخر أم اساءة

لقد ذكرنا ان روايات من هذا النوع تنتشر في اوقات الجهل وقلة المعرفة والعصبية القبلية للمفاخرة بها وبأشعارها فهل كانت في قصة الذبحة ما يدعو الى الفخر او انها اساءة لقبائل زبيد العربية الاصيلة .

ان المدقق في قصة الذبحة يجد فيها اساءة كبيرة جدا للقبائل الزبيدية وسنوضح ادناه كيف هي هذه الاساءة :-

١. ذكرت القصة ان قبائل زبيد ما او وصلت الى الجابرية حتى اغارت عليها وقتلت من فيها وهذا يعطي انطباعا ان الزبيديين كانوا متعطشون لسفك الدماء اذ ان فعل العقلاء ان يعرفوا اولا ثأرهم لدى أي انسان قبل الفتك بالآخرين فماذا لو كان من قتل جبرين هم غير سكان الجابرية ؟ ما هو موقف زبيد حينئذ ؟
٢. اعطت القصة انطباعا ان الزبيديين كانوا اهل غدر اذ انهم باتوا في بيوت سكان الجابرية واكلوا من زادهم وناموا في بيوتهم ثم غدروا بهم عند الفجر وهذا فعل قبيح نجل قبائل زبيد ان تأتي مثله وهم احفاد الفرسان الابطال احفاد عمرو بن معد كرب الزبيدي فارس العرب الذي كان يصول بين جيوش الفرس بمفرده .
٣. اوضحت القصة ان قبائل زبيد بلا عقول كونهم ساروا خلف ناقة فماذا لو تاهت الناقة واخذتهم الى قوم لا شأن لهم بقتل جبرين ، ما هو الموقف حينها ؟ ان قبائل زبيد التي انتجت الشعراء والعلماء والفرسان لهي اسمى من ان تتبع ناقة .

مما تقدم نخلص الى القول ان قصة الذبحة فيها من الاساءة الى قبائل زبيد اكثر من كونها مدعاة فخر ونحن هنا اذ نهيب بالعارفين والمثقفين والنسابين واهل العقل من القبائل الزبيدية ان يراجعوا مثل هذه الروايات التي تسيئ لقبائلهم ويصححوا ما على ألسنة الناس وهم اهل لذلك .

كيف وصلت قبائل زبيد وآل مرا الى العراق

قد يعتبر البعض ان قصة الذبحة هي السبب الرئيسي لوجود القبائل الزبيدية وآل مرا في العراق ، الحقيقة ليست كذلك فبعد ان ثبت بما لا يقبل الشك ان قصة الذبحة مفبركة وغير حقيقية يتم طرح السؤال التالي :- كيف وصلت هذه القبائل الى العراق .

ان هجرة القبائل البدوية غالبا ما تكون بسبب الجفاف او الاوبئة او الحروب المتواصلة فماذا لو اجتمعت كل هذه العوامل في زمن واحد او ازمنة متقاربة ؟

هجرة قبائل زبيد

ـــــــــــــــ :- ان قبيلة زبيد كانت في نجد حتى القرن التاسع الهجري فقد ذكر القلقشندي انه كان عليهم درك الحاج المصري بين حائل شمال نجد وبين المدينة المنورة (راجع نسب القبائل في هذا البحث) ولو عدنا الى تاريخ الغياثي لوجدنا ان الجحيش وهم من زبيد والجوذر وهم من الجبور من زبيد ايضا لهم ذكر في احداث سنة ٨٨٣هـ[1] .

ان الجوذر من جبور الواوي وقد ذكر المرحوم العزاوي نسب الواوي وقال هو واوي بن هيجيل بن عامر بن بشر بن جبارة بن جبر[2] وعليه يكون جبر جد بعيد اذ كم يلزم من الوقت كي يستقل الجوذر عن القبيلة الام وهم فرع من الواوي وواوي هو السادس في سلسلة ابناء جبر وقياسا على ذلك يكون جبر قد عاش في القرن الخامس او نهاية القرن الرابع وهو وقت كافي لتكوين مجموعة سكانية باسم الجوذر تستقل عن القبيلة الام .

يبقى السؤال ما الذي اخرجهم من نجد وفي أي تاريخ خرجوا ؟

ان الباحث في التواريخ النجدية يلاحظ قلة التدوينات عن الاحداث فيها ذلك لغلبة طابع البداوة والترحال عليها فيما يعتبر التدوين التاريخي من مظاهر الحضارة والمدنية ولكن هذا لا ينفي وجود مؤرخين او نسابين في القرن التاسع وما بعده في نجد .

---

١ - غياث الدين بن فتح الله البغدادي ، التاريخ الغياثي ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ج٥ ، ص ٣٩٤
٢ - عباس العزاوي ، موسوعة عشائر العراق ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ج٢ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦

لقد ذكر ابن عيسى في تاريخه (في سنة ٨٦٧هـ كثر الجراد في نجد واعقبه دبا كثير اكل الزرع والثمار والاشجار وغلت الاسعار وفيها كثر الجدري والحصبة في الحاضرة والبادية وهلك خلق كثير وفي سنة ٨٦٨هـ اشتد الغلاء وأكلت الميتات وجلا كثير من اهلها الى البصرة والاحساء ومات الكثير من الناس واستمر القحط والغلاء الى سنة ٨٧٠هـ)[١].

ان واحدا من الاسباب التي ذكرها ابن عيسى كافية لتكون دافعا مهما للهجرة فما بالك بجميعها واستمرارها لثلاث سنوات ، كما اشار الى هجرة سكان نجد باتجاه العراق وبالطبع فان كل قبيلة تهاجر الى مناطق المياه الاقرب لمنازلها وتكون بعيدة عن الوباء والجراد ومناطق الفرات هي الافضل في مثل هذه الحالة .

ان ذكر الجحيش والجوذر سنة ٨٨٣هـ في الحلة يتناسب مع تواريخ هجرتهم من نجد بسبب ما ذكره ابن عيسى لذا فنحن نرجح ان تاريخ دخول قبائل زبيد الى العراق كان في سنوات المحنة المذكورة ما بين ٨٦٧هـ - ٨٧٠هـ .

تبقى هناك مسألة اخرى وهي ادعاء البعض ان قبر جبر بن مكتوم موجود في دير الزور وقد قلنا ان جبر جد قديم يعود الى القرن الخامس او نهاية القرن الرابع فكيف يستقيم ذلك مع تاريخ الهجرة الذي ذكرناه ؟

ان الاجابة على هذا السؤال هي ان الكثير من القبور في العالم الاسلامي يشوبها الشك والغموض وهي في المدن فكيف اذا كان في الصحراء ثم ما الذي يمنع ان تكون وفاة جبر خارج نجد ويكون قبره في بلاد الشام خاصة اذا علمنا ان القبائل النجدية كانت ضمن تحالفات قبلية يقودها آل فضل بن ربيعة و آل مرا بن ربيعة والاتصال والتواصل مع الامارتين ومع نواب بلاد الشام مستمر والله تعالى اعلم .

---

١ - عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، خزانة التواريخ النجدية ، الرياض ، ١٩٩٩ ، ج٢ (تاريخ ابن عيسى) ، ص ٣٦

هجرة آل مرا

ــــــــــــــ :- لقد ثبت في السطور السابقة ان آل مرا كانوا في حوران حين دخل العثمانيون بلاد الشام سنة ٩٢٢هـ ولكن هل كانوا بنفس القوة والسطوة والنفوذ كما كانوا ايام جدهم احمد بن حجي .

لقد تعرض آل مرا الى الكثير من النكبات ابتدأت بعد وفاة احمد بن حجي سنة ٦٨٢هـ والى سنة ١٠٢٢هـ تمثلت في بادئ الامر بالصراع على الامارة بين ابناء احمد بن حجي واحفاده فقد ذكر القلقشندي ما يلي (ثم قتلت بينهم القتلى وأنزف قوة بأسهم سفك الدماء بينهم وتشتت كلمتهم بقسمة الامرة بينهم)[١] مما يدل على ان كلمة آل مرا تفرقت بعد وفاة احمد بن حجي ، واما عن سفك الدماء بينهم فقد قتل جماز بن سليمان بن احمد بن حجي عمه عساف بن احمد بن حجي سنة٦٩٤هـ[٢] .

ان هذا التفرق بين احفاد احمد بن حجي انتج تفرقا في القبائل الموالية لهم حيث توزعت القبائل في تحالفاتها على الامراء من بيت احمد بن حجي بحيث لم تبقى لآل مرا سلطة الا على العرب في سهل حوران .

وسنذكر هنا بعض الحوادث التي ادت الى أفول نجم امارة آل مرا :-

١. في العشرة الثانية من ربيع الثاني سنة ٨٥٥هـ وصل الخبر انه كان هناك على بلاد حوران على قرية يقال لها الخمان وقعة بين مقلد وابي بكر بن قديم أميري آل مرا قتل فيها مائتا رجل[٣] ، واستمر الصراع بين ال المقلد وال قديم الى سنة ٩٠٧هـ حيث ورد ان الامير جانباي بن ابي بكر قد كسر اعداؤه[٤] وهذه الصراعات الداخلية قوضت سلطة آل مرا واضعفتها .

---

١ ـ احمد بن علي القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريق بقبائل عرب الزمان ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٨٠
٢ ـ صلاح الدين الصفدي ، الوافي في الوفيات ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ج٢٠ ، ص ٧٣
٣ ـ ابراهيم بن عمر البقاعي ، اظهر العصر لاسرار اهل العصر ، جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٩٩٢، ج١، ص ١١٢
٤ ـ محمد بن طولون ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٢٠٨

٢. في سنة ٩١١هـ بدأ الصراع بين آل مرا والمماليك ففي ١٤ محرم سنة ٩١١هـ دخل دمشق نائبا عن السلطان الامير سيباي وفي شهر صفر بدأ بمهاجمة آل مرا[١] وقد خرب نائب السلطان مناطق كثيرة من حوران ونهب محصولها وعادى شيوخها [٢] .

٣. في سنة ٩١٣هـ كان نائب دمشق وبقية الامراء مقيمون في حوران بعد ان نهب اهل البر وعمل فيهم ما لا يحل[٣] وفي شهر صفر عام ٩١٤هـ نودي في دمشق الى خروج الزعر (الاشقياء) لمساندة النائب في قتال العرب ببلاد حوران[٤] ولم يرجع النائب عن حوران الا في محرم سنة ٩١٧هـ[٥].

٤. في يوم الجمعة العاشر من ربيع الاول سنة ٩١٧هـ التقى النائب بابن الامير ناصر الدين الغزاوي وقدمت للنائب خيولا وغيرها واصبح الامير ناصر الدين محمد بن الامير ابي سيف مدلل الشهير بابن ساعد اميرا على بر الشام وحوران وعجلون[٦] وبهذا اصبح آل مرا تابعين له وليسوا امراء .

استمر الحال على ما هو عليه حتى دخول العثمانيين الى دمشق عام ٩٢٢هـ فانتهت امارة ابن ساعد ولكن العثمانيين طبقوا نظام الادارة المركزية واصبحت حوران تحت الحكم العثماني المباشر وتم تعيين صوباشي لإدارة المنطقة والصوباشي وظيفة ادارية عسكرية يقوم بأعمال مدير الشرطة في المنطقة التي يتواجد فيها[٧] وعليه لابد من وجود قوة حكومية تساعده في اداء مهامه وبذلك انتهت الامارة القبلية في حوران واصبحت تدار من قبل العثمانيين .

٥. في عام ١٠٢١ استقر حافظ احمد باشا واليا على الشام من قبل العثمانيين فقام بطرد الشيخ عمرو بن جبر شيخ عرب الصقر من المفارجة من حوران الذي التجأ الى الامير فياض ابو ريشة الحياري واعطى مشيخة حوران الى الشيخ رشيد شيخ عرب السردية[٨] .

---

١ - المصدر السابق ، ص٢٣٤
٢ - المصدر السابق ، ص٢٣٥
٣ - المصدر السابق ، ص ٢٥٥
٤ - المصدر السابق ، ص ٢٦٧
٥ - المصدر السابق ، ص٢٨٥
٦ - المصدر السابق ، ص ٢٨٧
٧ - مصطفى الخطيب ، معجم المصطلحات والالقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦، ص٢٩٦
٨ - احمد بن محمد الخالدي ، لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٨

يتضح من النص السابق ان زعامة آل مرا لحوران قد انتهت في الفترة بين ٩٢٢هـ و ١٠٢١هـ وتحولت الزعامة بيد المفارجة من الصقر والسردية الذين نزلوا حوران في هذه الفترة ومن الطبيعي ان تكون لهم الرئاسة لكثرتهم ولما حل بآل مرا من عظائم الامور .

٦. في ربيع الثاني من سنة ١٠٢٢هـ عاد الشيخ عمرو بن جبر وعرب الصقر من عند الامير فياض فطاردهم عرب حوران فالتجأوا الى الامير فخر الدين المعني فجهز معهم جيشا بقيادة ابنه الامير علي واغار على حوران واستولى عليها ثم ان الشيخ عمرو بن جبر قد اغار على عرب الشيخ ناصر الفحيلي آخر شيوخ آل مرا فأخذهم عن آخرهم ولم يسلم لهم عقال[1] أي انه قد افناهم عن آخرهم ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك .

ان هذه الحوادث المفجعة كفيلة بهجرة آل مرا وتفرقهم بين القبائل وخاصة المذبحة التي حصلت سنة ١٠٢٢هـ فكانت هجرة ما تبقى من آل مرا فمنهم من هاجر الى فلسطين والاردن ويعرفون اليوم بعرب الفحيلية ومنهم في سوريا .

ان هجرة عرب حوران الى العراق كانت مع مجرى نهر الفرات فمناطق الفرات التي في سوريا مأهولة فكان نزوحهم الى العراق عبر مناطق الصحراء الغربية في محافظة الانبار حاليا ومما يؤكد كلامنا هذا ان بقايا ال علي من آل فضل ومنازلهم كانت في الجولان وحوران منتشرين اليوم على نهر الفرات في السماوة وعشيرة الفحيلي في سوق الشيوخ ضمن تحالف خيقان فليس من المستبعد ان يكون البيات والامرلية قد دخلوا العراق من الجهة الغربية قادمين من سوريا مع مجرى نهر الفرات ومما يدعم هذا الكلام ان لهم فروع في مناطق غرب الفرات في حديثة وغيرها ولما كانت الهجرة في حالتها الطبيعية تكون من البادية الى الحضر فيستبعد ان يكون البيات قد استوطنوا نواحي كركوك ومنها هاجروا الى غرب العراق الصحراوي بل ان الحالة الاعتيادية ان يكون البيات قد استوطنوا غرب العراق ومنه نزحوا الى نواحي كركوك والله تعالى اعلم .

١ - المصدر السابق ، ص ١٠

الخاتمة

يتناقل الناس الكثير من قصص البطولة والفخر المنسوبة الى القبائل وكل ينسب هذه القصص لعشيرته واجداده وكذلك قصص الكرامات والخوارق المنسوبة للمشايخ وكل ينسب الفعل لشيخه ، ان الباحث في التاريخ يرى تشابها في الاساطير التي تتناقلها الشعوب وتشابها في القصص التي يتناولها الناس .

كانت هذه الروايات والقصص هي وسيلة التسلية في مجالس السمر في المضايف العشائرية والمقاهي في المدن وكانت قصص من امثال قصة ابو زيد الهلالي والزير سالم تتردد على السنة الرواة (الحكواتي) ويتم تغيرها حسب مقتضيات الموقف والمكان والزمان كما في قصة ابو زيد الهلالي او الزير سالم لذلك لا يمكن الاعتماد على هذه القصص في تدوين مجريات التواريخ ولذا فقد عمد الحكام والسلاطين الى انشاء دواوين تختص بكتابة وتدوين الاحداث فقد كان القاضي الفاضل عبد الرحيم يدون الاحداث في زمن السلطان صلاح الدين الايوبي وكذلك كان ابن فرات والمقريزي والعمري في زمن سلطنة المماليك والقرماني زمن الدولة العثمانية لذا تجد ان تدويناتهم تكون قريبة جدا من الحقيقة مع ما يشوبها من التقرب للسلاطين بحكم الوظيفة .

في المضايف البدوية كان هناك رواة وشعراء يدورون على القبائل يمدحون الشيوخ والفرسان غايتهم كسب المال لا غير فتراهم يخترعون القصص وينسبوها الى مؤلفين اموات ويتفننون في سرد تفاصيلها وبتكرارها يحفظها الناس ويتناقلونها بينهم فتشيع الى الدرجة التي يظن معها البعض انها حقائق ويحرمون المساس بها بل ويعتبرون ذلك طعنا بتاريخهم او انسابهم دون ان يمحصوا هذه الروايات ما اذا كانت تسيئ لهم ام لا .

ان قصة الذبحة موضوعة البحث بكل ما فيها من اساءة للقبائل الزبيدية والتي بيناها فالقصة يتناقلها الناس الى الدرجة ان بعض الكتاب يعتبرها حقيقية كون الناس تتناقلها ولا يضعون في اعتبارهم احتمال ان تكون مفتعلة ولكون القصة تمس احد الامارات الطائية والتي لا زالت اعقابهم موجودة فقد توكلنا على الله وبدأنا بالبحث فيها من مصادر التاريخ وباسلوب البحث والاستنتاج فتوصلنا الى ان هذه القصة هي من نسج الخيال وغالبا ما يكون مؤلفها من الرواة والشعراء المتكسبين علما ان هناك الكثير من الباحثين الذين ينكرون وقوعها لكنهم لا يبحثون في

موضوعها بطريقة البحث العلمي الاستدلالي بل بطريقة السرد القصصي فلم اجد باحث تطرق الى موضوعة ان يكون آل مرا يسكنون الجابرية أم لا ومنهم من عمد الى التلاعب بالمعلومة التاريخية فجعل سقي الفرات من املاك آل ربيعة الطائيين بشكل عام بينما تشير المصادر التاريخية ان الانبار وسقي الفرات كانت العاصمة الاولى لإمارة فضل بن ربيعة منذ سنة ٥٠١هـ ولم يسكنها آل مرا اطلاقا .

لقد ظلمت امارة آل مرا في البحث التاريخي فكل الباحثين في تاريخ الامارة الطائية يبحثون في امارة آل فضل فقط كون الامارة الحالية هي في اعقاب آل فضل ولم يقدم احد الباحثين بحثا واحدا في امارة آل مرا (على قدر اطلاعي) وبعد التتبع والدراسة وجدنا انها استمرت حتى الغزو العثماني لسوريا بينما تشير قصة الذبحة الى انها سقطت بفعل الذبحة وهذا يدل على ان قصة الذبحة قد كتبت بعد القرن العاشر الهجري ربما بقرون أنست الناس امارة آل مرا في حوران فما عاد احد يتذكرها خاصة عند البدو .

ان الباحث التاريخي في ايامنا هذه لهو اوفر حظا من الذين سبقونا في هذا المضمار فالوسائل العلمية الحديثة جعلت الحصول على المصادر في كافة المجالات وتبادل المعلومات ايسر بكثير مما سبق لذا فنحن نرى ان امكانيات الباحث المعاصر اكثر من امكانيات السابقون رغم الهالة العظيمة حولهم وهذا ليس انتقاصا منهم انما لكل زمان دولة ورجال كما قالت العرب .

ختاما نعيد التأكيد على ان هذا البحث انما هو بحث تاريخي صرف وليس نسبي فلا يتصور احد ما انه طعنا في انساب القبائل الزبيدية او قبيلة البيات وقبيلة الامرلية فمسألة انتماءاتهم النسبية امر مفروغ منه انما البحث هو بحث تاريخي صرف لواقعة تنتشر على ألسنة الناس واما ما ذكرناه من انساب هذه القبائل فهو انما كان في سياق عرض نقاط الضعف في القصة فالجنابيون كما اكدت المصادر التاريخية والنسبية انهم وجدوا قبل الذبحة المزعومة بقرون عديدة بل كانت لهم امارة في الاندلس زمن دول الطوائف.

تم بعون الله وتوفيقه في يوم ١٦ أيار ٢٠٢٠ الموافق ٢٣ رمضان سنة ١٤٤١هـ